عقيلة الهاشميين

سيرة ومسيرة

إعداد

قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ

اسم الكتاب: عقيلة الهاشميين سيرة ومسيرة

إعداد: قسم الشؤون الدينية – شعبة التبليغ

الناشر: العتبة العلوية المقدسة

المراجعة: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨م

قياس: ١٤,٨×٢١

عدد الصفحات: ٧٨

عدد النسخ: ٥٠٠٠

الموقع الإلكتروني: www.imamali.net

البريد الإلكتروني: tableegh@imamali.net

موبايل: ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

يزخر تاريخنا الإِسلامي الأَصيل المرتبط بأَهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بشخصيات عظيمة من النساء اللواتي كان لهنَّ الأَثر العظيم والبصمات الواضحة على صفحات هذا التاريخ، وذلك لما ضمّت تلك الشخصيات بين جوانحها من تقوى، وتضحية، وصبر، وشجاعة، فاضت وتدفقت على الأُمة فضلاً وكرماً، وكانت زَيْنَب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام إِحدى أَبرز تلك الشخصيات، فقد كان لها دور كبير في مناهضة الظلم والظالمين، وإِتمام ثورة الإِمام الحسين عليه السلام، وفضح الفاسدين، وكشف القناع المزيف لهم، وبيان أَحقية أَهل البيت عليهم السلام في الخلافة الإِلهية.

ولادتها عليها السلام:

اختلف المؤرخون والرواة في السنة التي وُلدت فيها عقيلة آل أَبي طالب عليها السلام، فهناك من يقول: أَنها ولدت في السنة السادسة من الهجرة[1]، وقيل في السنة التاسعة من الهجرة، وردّ هذا القول الشيخ جعفر النقدي، فقال: وهذا القول غير صحيح؛ لأَنّ فاطمة عليها السلام توفيت بعد والدها في السنة العاشرة، أَو الحادية عشر، على اختلاف الروايات، فإِذا كانت ولادة السيّدة زَيْنَب في السنة التاسعة، وهي كبرى بناتها فمتى كانت ولادة أُمّ كلثوم (على القول بوجودها)؟ ومتى حملت بالمحسن الذي أَسقطته لستة أَشهر؟

وقال: والذي يترجّح عندنا هو أَنّ ولادة السيدة زَيْنَب عليها السلام كانت في السنة الخامسة من الهجرة -في شهر جمادى الأُولى- وذكر مؤيدات أخرى لما ذهب إليه[1].

الوليدة المباركة عليها السلام:

استقبل البيت العلوي الفاطمي الطاهر -بكل فرح وسرور، وغبطة وحبور- الوليد الثالث من أَولادِهم، وهي البنت الأُولى للإِمام

(١) زينب الكبرى عليها السلام من المهد الى اللحد، المؤلف : السيد محمد كاظم القزويني: ج١، ص٣١.

(٢) لمعرفة تفاصيل ذلك يمكن مراجعة كتاب (زينب الكبرى عليها السلام) للعلامة الشيخ جعفر النقدي: ص١٧، وكتاب (رياحين الشريعة) الشيخ المحلاتي: ج٣، ص٣٣.

أَمير المؤمنين والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام، ومن هذين الأَصلين المقدسين انبثقت هذه البذرة الطاهرة.

حيث وضعت الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وليدتها المباركة، التي لم تولد مثلُها امرأةٌ في الإِسلام، إِيماناً، وشرفاً، وطهارةً، وعفةً، وجهاداً، وقد استقبلها أَهلُ البيتِ عليهم السلام وسائرُ الصحابة بمزيدٍ من الابتهاج والفرح والسرور، وأَجرى الإِمامُ أَميرُ المؤمنين عليه السلام على وليدتهِ المراسيم الشرعية، فأَذّنَ في أُذنِها اليُمنى، وأَقام في اليسرى.

لقد كان أَوّل صوت قرع سمعها هو: (**اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلهَ إِلاّ اللهُ**) وهذه الكلمات أُنشودة الأنبياء، وجوهر القيم العظيمة في الأَكوان.

وقد روي في ولادتها أَنها لما ولدت، جاءت بها أُمها الزَّهراء عليها السلام إِلى أَبيها أَمير المؤمنين عليه السلام وقالت له: سَمِّ هذه المولودةَ، فقال عليه السلام: ما كنتُ لأَسبق رسول الله صلى الله عليه وآله، ولما جاء النبي صلى الله عليه وآله قال: ما كنت لأَسبق ربي تعالى، فهبط جبرائيل يقرأُ على النَّبي السَّلام، وقال له: سمِّ هذه المولودة (زَيْنَب[1])، فقد اختار اللهُ لها هذا الاسم[2].

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب: ج١، ص٤٥٣ (الزَيْنَب شجر حَسَنُ المَنْظَر، طَيِّبُ الرائحة، وبه سميت المرأَة)، وقد اختار الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط: (اسم زَيْنَب مركب من زين وآب، ليصبح عند الإِندماج بعدما حذفت الهمزة، زَيْنَب).

(٢) وفيات الأئمة، (من علماء البحرين والقطيف): ص٤٣١.

وجوم النبي صلى الله عليه وآله وبكاؤه:

بعدما سَمَّا رسول الله صلى الله عليه وآله حفيدته المباركة، ضَمّها إلى صدره الشريف، وجعل يوسعها تقبيلاً، ثم وضع خدّه على خدّها، وبكى بكاءً شديداً عالياً، أَخذت دموعه تتبلور على سحنات وجهه الكريم، فبهرت سيّدة النساء فاطمة عليها السلام من بكاء أَبيها، فانبرت قائلةً: **مِمَّ بُكاؤكَ؟ لا أَبْكَى اللهُ عَيْنَكَ يَا أَبْتَاهُ**، فأَجابها بصوت حزين النبرات: **(يا فاطمة، اعلمي أَنّ هذه البنت بعدي وبعدك سوف تنصبُّ عليها المصائب والرزايا)**[1]. وهو يتحدّث عمّا تعانيه ابنته من المآسي والخطوب.

كُنْيَتها عليها السلام:

كُنّيت الصدّيقة الطاهرة زَيْنَب عليها السلام بـ**(أُمّ كلثوم)**، وقيل: إِنها تكنى بـ**(أُمّ الحسن)**[2]، و تُكنى أَيضاً بـ**(أُمِّ المَصائِب)**، وحقّ لها أن تُسمّى بذلك، فقد شاهَدَت مصيبةَ جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله، ومحنةَ أُمّها فاطمة الزهراء عليها السلام، ثمّ وفاتها؛ وشاهدت مقتلَ أَبيها الإِمام عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ شاهدت محنةَ أَخيها الحسن عليه السلام، ثمّ قَتْله بالسمِّ، وشاهدت أَيضاً المصيبةَ العظمى، والرزية الكبرى، وهي قتلُ أَخيها الحُسين عليه السلام وأَهل بيته، ومِنْ بينِ مَن استشهد في تلك الواقعة الأَليمة ولداها (عَونٌ ومحمّد) مع خالهما الحسين عليه السلام وأَمام عينيها، وحُملت

---

(١) الطراز المذهّب، للميرزا عباس قليخان: ص٣٨.

(٢) زَيْنَب الكبرى، للشيخ جعفر النقدي: ص١٧.

أَسيرةً من كربلاء إِلى الكوفة، وأُدخلت على ابن زياد في مجلس الرجال، وقابلها بما اقتضاه لُؤمُ عنصرهِ، وخِسّةُ أَصله من الكلام الخشن الموجع وإظهار الشماتة المُمِضّة، وحُملت أَسيرةً من الكوفة إِلى ابن آكلة الأَكباد بالشام، ورأسُ أَخيها ورؤوس ولدَيها وأَهل بيتها أَمامها على رؤوس الرماح طول الطريق إِلى الشام، حتّى دخلوا دمشق على هذه الحالة، وأُدخلوا على يزيد في مجلس الرجال، وهم مُقرّنون بالحبال.

أَلقابها عليها السلام:

أَما أَلقابها فإِنّها تنمّ عن صفاتها الكريمة، ونزعاتها الشريفة، حتى لُقِّبت بالصديقة الصغرى، وعقيلة بني هاشم، والموثقة، والعارفة، والكاملة، وعابدة آل علي، وصاحبة الشورى، وغيرها من الأَلقاب.

وهذه الأَلقاب الرائعة التي عرفت بها مولاتنا زينب عليها السلام تدل على معانٍ سامية وجليلة، فلقب:

عقيلة بني هاشم: و(العقيلة) هي: المرأة الكريمة على قومها، والعزيزة في بيتها، وكان هذا اللقب وساماً لذرّيتها، فكانوا يلقّبون بـ(بني العقيلة).

العالمة: حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله من السيّدات العالمات في الأُسرة النبوية، فكانت عليها السلام يرجعن إِليها نساء المسلمين في شؤونهن الدينية.

عابدة آل عليّ: كانت زَيْنَب من عابدات نساء المسلمين، فلم تترك نافلة من النوافل الإِسلامية إِلاّ أَتت بها، ويقول بعض الرواة:

إنها صلّت النوافل في أقسى ليلة وأمرّها، وهي ليلة الحادي عشر من المحرم.

الكاملة: فهي كاملة في فضلها وعفّتها وطهارتها من الزلل والزيغ.

الفاضلة: فهي الفاضلة في جهادها وخدمتها للإسلام، وبلائها في سبيل الله.

فهذه بعض ألقابها التي أحصيناها، والتي تدلّل على سموّ ذاتها وعظيم شأنها[1].

نشأتها وفضلها عليها السلام:

نشأت زَيْنَب العقيلة عليها السلام وترعرعت في كنف بيت طاهر لا يُذكر فيه إلا الله تعالى، ولا يُؤتى فيه إلا الصالحات من الأعمال، لأنه بيت النبوة، ومهبط الوحي والتنزيل.

بيتٌ أداره عليُّ بن أبي طالب عليه السلام بعلمه وحكمته، وملأتْ أنحاءه مولاتُنا فاطمة الزهراء عليها السلام بعطفها وحنانها، ورافقها فيه سيدا شباب أهل الجنة عليهما السلام، وقد غذّتها أُمها سيّدة نساء العالمين عليها السلام بالعفّة، والكرامة، ومحاسن الأخلاق والآداب، وحَفَّظتها القرآن، وعلّمتها أحكام الإسلام، وأفرغت عليها أشعة من مُثُلِها وقِيَمها، حتّى صارت صورةً صادقةً عنها، وحقٌّ للذي يتربى في مثل هذا البيت أن يكون في

(١)

أَعلى مدارج الكمال الإِنساني.

لقد قطعت شوطاً من طفولتها في بيت الشرف والكرامة والرحمة والمودة، فقد شاهدت أَباها الإِمام أَمير المؤمنين عليه السلام يشارك أُمّها الزهراء عليها السلام في شؤون البيت، ويعينها في مهامه، ولم تتردّد في أَجواء البيت أَيّةُ كلمةٍ من مرّ القول وهجرِهِ، وشاهدت جدّها الرسول الأَكرم صلى الله عليه وآله يُغدق عليهم بفيض من تَكريمهِ، وتبجيلهِ، وعطفهِ، وحنانهِ.

لقد ظفرت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله بأَروع وأَسمى أَلوان التربية الإِسلامية، في بيت يبجّل الصغير الكبير، ويعطف الكبير على الصغير، عطفٌ واحترامٌ متبادَلٌ.

وقد شاهدت أُخوتها من أَبيها، وهم يعظّمون أَخويها الحسنَ والحسينَ عليهما السلام، ويقدّمون لهما آياتِ التكريم والتبجيل، وكانت هي بالذات موضع احترام أُخوتها، فكانت إِذا زارت أَخاها الإِمام الحسين عليه السلام قام لها إِجلالاً وإِكباراً، وأَجلسها في مكانه، وكانت إِذا أَرادت الخروج لزيارة قبر جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله خرج معها أَبوها أَمير المؤمنين عليه السلام وأَخواها الحسنان عليهما السلام، ويبادر أَمير المؤمنين عليه السلام بنفسهِ إِلى إِخماد ضوء القناديل التي على المرقد المعظّم، فسأله الإِمام الحسن عليه السلام عن ذلك، فقال له: **(أَخْشَى أَنْ يَنْظُرَ أَحَدٌ إِلى شَخْصِ أُخْتِكَ الحَوْرَاء)**[1].

لقد أُحيطت عقيلة بني هاشم بهالة من التعظيم والتبجيل من

(١) زَيْنَب الكبرى، للشيخ جعفر النقدي: ص٢٢.

أَبيها وأُخوتها، فهي حفيدة النبي الأَعظمﷺ، ووريثةُ مُثُلِهِ وقيمهِ وآدابهِ.

كل ذلك يدل على أَن تلك الصّدّيقة الجليلة قد حازت على درجات عالية من الشرف والكرامة، وقد ورد في حقِّها الكثير من المناقب والفضائل.

خصالها النفسية عليها السلام:

ما من صفةٍ كريمةٍ أَو نزعةٍ شريفةٍ يفتخر بها الإِنسان، ويسمو بها على غيره من الكائنات الحية إِلاّ وهي من عناصر عقيلة بني هاشم، وسيدة النساء زَيْنَب عليها السلام، فقد تحلّت بجميع الفضائل التي وهبها الله تعالى لجدّها الرسول الأَعظم صلى الله عليه وآله، وأَبيها الإِمام أَمير المؤمنين عليه السلام، وأُمّها سيدة نساء العالمين عليها السلام، وأَخويها الحسن والحسين سيدي شباب أَهل الجنة وريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد ورثت خصائصهم، وحكت مميزاتهم، وشابهتهم في سموّ ذاتهم، ومكارم أَخلاقهم.

لقد كانت حفيدة الرسول بحكم مواريثها وخصائصها من أَعظم النساء في دنيا الإِسلام، فقد أَقامت صروح العدل، وشيّدت معالم الحق، وأَبرزت قيم الإِسلام ومبادئه على حقيقتها النازلة من ربّ العالمين، فقد جاهدت هي وأُمّها الزهراء عليها السلام كأَعظم ما يكون الجهاد، ووقفتا بصلابة لا يعرف لها مثيل أَمام التيارات الظالمة، التي حاولت بجميع ما تملك من وسائل القوة أَن تلقي الستار على قادة الأُمّة وهُداتها الواقعيين، الذين أَقامهم الرسول صلى الله عليه وآله أَعلاماً لأُمّته، وخزنة لحكمته وعلومه، فقد دافعت فاطمة الزهراء عليها السلام بقوة وصلابة عن حقّ سيّد العترة الإِمام أَمير المؤمنين عليه السلام، رائد العدالة الاجتماعية في الإِسلام، فناهضت حكومة أَبي بكر في خطابها التأريخي الخالد، وسائر مواقفها المشرّفة التي وضعت فيها الأَساس المشرق لمبادئ شيعة أَهل البيت عليهم السلام،

وكذلك وقفت ابنتها العقيلة عليها السلام أَمام الحكم الأُموي الأَسود الذي استهدف قلع الإِسلام من جذوره، ومحو سطوره، وإِقصاء أَهل البيت عليهم السلام عن واقعهم الاجتماعي والسياسي، وإِبعادهم عن المجتمع الإِسلامي، فوقفت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله مع أَخيها أَبي الأَحرار عليه السلام في خندق واحد، فحطّم أَخوها بشهادته، وهي بخطبها في أَروقة بلاط الحكم الأُموي، ذلك الكابوس المظلم الذي كان جاثماً على رقاب المسلمين.

وعلى أَي حال، فإِنا نعرض بصورة موجزة لبعض العناصر النفسية لحفيدة الرسول صلى الله عليه وآله، وما تتمتّع به من القابليات الفذّة، التي جعلتها في طليعة نساء المسلمين، وفيما يلي ذلك:

السيدة زينب الصورة الحقيقية للمرأة الواعية:

السيّدة زينب عليها السلام، هذه المرأة الرّساليّة الصّابرة المتحدّية، التي استطاعت من خلال مواقفها في كربلاء مع أَخيها الإِمام الحسين عليه السلام، أَن تُبرز الصّورة الحقيقيّة للمرأة الواعية التي تربّت في حضن الإِسلام، فلم تسيطر عليها عاطفتها، ولم تخضع لضعفها الجسديّ، بل كانت الإِنسانة القويّة الصّلبة التي لا تهزمها الآلام حتى لو كبرت، ولا ينال منها كلّ الذين يملكون السّلطة والجبروت ويمارسون الطّغيان، بل وقفت أَمامهم بكلّ جرأةٍ، تكشف منطلقاتهم، وأَساليبهم، والأَهداف الّتي يتحرّكون من أَجلها، وتزيل عنهم غطاء الشّرعيّة الإِسلاميّة التي

كانوا يتغطّوْن بها.

ولم تغفل السيّدة زينب عليها السلام عن دورها كزوجةٍ وأُمّ، بل أَكّدت هذا الدّور، ومع ذلك فإنّها كانت تعتبر أَنّ دور المرأة هو أَعمّ من دورها في البيت، أَو تربيتها لأَولادها، وأَنّ هناك واجباً ينبغي أَن تقوم به، وهو الأَمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿**الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[1].

وهذا الدّور المتكامل هو الّذي جعلَ المرأة المسلمة فاعلةً في كلِّ التّاريخ الإسلاميّ، لتساهم في بناء مجتمعٍ قويٍّ، يقف أَمام الظّلم والطّغيان، ويكون فاعلاً في أَيّة مقاومةٍ تواجه معتدياً ومحتلاً.

(١) سورة التوبة: آية ٧١.

مواكبتها عليها السلام خطوات الرّسالة:

وقد انطلقت السيّدة زينب عليها السلام في بنائها الذّاتيّ ورساليّتها، من هذا البيت الرّساليّ الّذي بناه الإمام عليّ عليه السلام مع السيّدة الزّهراء عليها السلام، في ظلّ رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي أَضفى على هذا البيت رعايةً خاصّةً، لأنّه كان يعيش في عقل أَفراد هذا البيت، وفي نبضات قلوبهم، فَهُم تربيته وصناعته.

وهو صلى الله عليه وآله عندما كان يفكّر في مستقبل الإِسلام، كان يفكّر فيه من خلالهم ومن خلال ذرّيّتهم؛ فعليٌّ منه، وهو من عليٍّ، وفاطمةُ بضعةٌ منه، والحسنُ والحسينُ سيّدا شباب أَهل الجنّة، والسيّدة زينب هو سمّاها وأَحبّها، وكان يتوسَّم فيها شخصيّةً تحمل عطر هذا البيت.

وهكذا كانت، فهي حملت رسالةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وأَخلاقه، وشجاعة أَبيها عليّ عليه السلام، وعبادة أُمّها وعِلْمَها، وهَدْي أَخويها، وانطلقت إِلى الحياة تحمل طهر البيت الّذي أَذهب اللهُ عنه الرِّجس وطهّره تطهيراً.

وبذلك استطاعت أَن تبني في داخلها شخصيّةً متنوّعة المزايا؛ فكانت العالمة والعابدة التي لا تترك صلاة اللّيل حتّى في أَشدِّ السّاعات حراجةً، كما في كربلاء، وكانت الموجِّهة، والمعلِّمة للقرآن، الآمرة بالمعروف، والنّاهية عن المنكر، والّتي كان صوتها لا يرتفع

إلا بالحقّ في كلّ الأَماكن العامّة والخاصّة، لتكون بذلك سنداً وقوّةً للإِسلام، ولم تكن تغلق أَبوابها عن أيّ حوارٍ ونقاش هادئ ورصين.

وقد أَخلصت لزواجها من الرّجل الّذي أَخلص لرسول الله صلى الله عليه وآله وأَهل بيته، وكان يقف المواقف الصّلبة تجاه الانحراف الأُمويّ، وهو لم يشارك في كربلاء لمرضه لا لعدم رغبته في ذلك، ولذلك أَرسل ولديه محمَّد وعون مع أُمِّهما للمشاركة في هذا الواجب الكبير، فكانت الأُمّ المربّية الّتي خرَّجت للمجتمع مجاهدين رساليّين، خرجوا معها إِلى كربلاء، واستُشهدوا.

وقد واكبت السيِّدة زينب خطوات الرِّسالة، فهي لم تعشْ سوى سنيّها الخمسة الأُولى من عمرها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، لكنَّها عاشت نتائج جهاد رسول الله صلى الله عليه وآله وتضحياته مع أَصحابه، حيث عاد إِلى مكّة فاتحاً، وبدأَ النّاس يدخلون في دين الله أَفواجاً، وأَكمل تبليغ الرّسالة التي أَمره اللهُ بإِيصالها إِلى النَّاس، ولم يطمئنّ إِلى أَن جاءه الوسام الإِلهيّ ليقول له أَن يقول للنّاس: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾[1]، بعدما تركه أَمانةً عند عليّ عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله: (**مَنْ كُنتُ مَوْلاهُ فهذا عَليٌّ مَوْلاهُ، اللَّهمّ والِ مَنْ والاهُ، وعادِ مَنْ عَاداهُ، وانْصرْ مَنْ نَصَرَهُ، واخذلْ مَنْ**

(١) سورة المائدة: آية٣.

خَذَلَهُ)[١].

وأَغمض رسولُ الله عينيْه مُغادراً أُمّته، تاركاً لها ما إِنْ تمسّكَتْ بهما لن تضلّ أَبداً؛ كتاب الله وعترته أَهل بيته، اللّذين لن يفترقا حتّى يَرَدا عليهِ الحَوْض، وبَكَت السيّدةُ زينبُ جَدَّها وهو يُحمَلُ على أَكفّ المسلمين، وحزنت بحجم عمرها الصّغير، عندما رأت أَنّ هناك انحرافاً بَدَأ يدبّ في داخل مجتمع جدِّها، والّذي تمثّل بإِبعاد أَبيها عن الخلافة الّتي نصّ عليها رسول الله ﷺ بأَمرٍ من الله سبحانه.

وسمعت كيف صدح صوت أُمّها في مسجد جدِّها رسولِ الله ﷺ وهي تواجه هذا الانحراف، متحمّلةً كلّ الآلام؛ ليبقى الإِسلام نقيّاً صافياً على العهد الّذي حرص رسول الله ﷺ على تأكيده في أَكثر من مناسبة.

وفي تلك الأَجواء المعتمة، والأَوضاع المأساوية التي عصفت بأُمةِ جدِّها ﷺ تغيرت الأَجواء على عقيلة الهاشميين من جديد، وانقلبت الأَحوال، حين انطفأَ قنديلٌ آخرٌ من قناديل بيت الوحي والرسالة، وحين أَفل نجم من نجوم الرحمة الإِلهية عن هذه الأُمة، حين افتقدت زينبُ أُمّهَا الزَّهراء عليها السلام شهيدةً مظلومةً، وهي لا تزال بحاجة إِلى حضنها ودفئِها، عندها تجددت عليها مصيبةُ جدِّها رسول الله ﷺ، وعادت عليها أَحزان ذلك الفقد الأَليم المفجع، فلم تجد ما يخفف تلك الآلآم سوى الصبر والتحمل.

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٤٢٨.

على خُطى أَبيها أَمير المؤمنين عليه السلام:

وبعد رحيل أُمها الزهراء عليها السلام عن بيت أَمير المؤمنين عليه السلام عاشت السيّدة زينب عليها السلام رساليّة أَبيها، عندما انفتح على الّذين تقدّموه بالخلافة، لا خوفاً منهم، ولا لمصلحة شخصيّة يرجوها، بل حرصاً على بقاء الإسلام عزيزاً، وعدم تعرّضه للخطر من الأعداء الّذين كانوا يتربّصون به شرّاً، رغم تأكيد حقّه في الخلافة، وقال: (**لأُسلمنّ ما سلمت أُمور المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ إلا عليَّ خاصّةً**)[١].

ورأت كيف اجتمع على أبيها القاسطون والمارقون والنّاكثون، لأنّه أَصرّ على موقفه الرّساليّ، ورفض منطق التّسويات والسّكوت على الانحراف على حساب رسالته.

وقد تمثّلت لها رساليّة أَبيها عليّ عليه السلام عندما جيء به صريعاً، والدّماء تسيل من رأسه، والسُّمّ يسري في بدنه، والحياة تذوب في جسده، وفي هذا الوقت، يلتفت إلى الّذين من حوله ويقول: (**سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ**)[٢]، وكان يقول: (**إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً**) -وأَشَارَ بِيَدِه إِلَى صَدْرِه-[٣]، وهي في ذلك كلّه لم تفارق والدها حتى أَغمض عينيه شهيداً.

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص١٠٢.

(٢) المصدر السابق: ص٢٨٠.

(٣) المصدر السابق: ص٤٩٦.

وعاشت السيّدة زينب رساليَّة أخيها الحسن عليه السلام، سيّد شباب أَهل الجنَّة، الّذي حرص على أَن يحافظ على البقيَّة الباقية من المؤمنين الخلَّص، فلم يغامر بهم بالدّخول في معركةٍ مع معاوية، الّذي أَرسلَ جيشاً لمنع الإِمام الحسن عليه السلام من أَن يتسلَّم زمام الخلافة بعد أَبيه، حيث عرف أَنّ هذه المعركة خاسرة مع جيشه المتعَب، والّذي أَتعب والده، حتى قال عنه: **(لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ، ولَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً، والله جَرَّتْ نَدَماً، وأَعْقَبَتْ سَدَماً)**[1]، ولذلك كان صلحه مع معاوية، وتحمّل لأَجل ذلك الإِساءات الّتي تعرّض لها حتى من بعض أَصحابه، وهو كان يفكّر في حجم مستقبل الإِسلام، لا في حجم تلك المرحلة، وكان يخطّط لمرحلةٍ سيقوم الإِمام الحسين عليه السلام بتحمّل مسؤوليّتها.

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٧٠.

بـطلةُ كَرْبـلاء عليها السلام:

وعاشت السيّدة زينب بعد ذلك رساليّة الحسين عليه السلام، الّذي شعر بأَنّ الإِسلام في خطر، وأَنّ الانحراف بات كبيراً، بحيث وصل إِلى حدٍّ أَن يكون يزيد هو الحاكم لأَمر المسلمين، الرّجل الفاسق، قاتل النّفس المحترمة، ولذلك أَعلن الرّفض القاطع لمبايعته، وقال: (**إِنّا أَهلُ بيت النبوّة، ومعدن الرّسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النّفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله**)[1].

وانطلقت السيّدة زينب مع أَخيها، وغادرت معه المدينة باتجاه الكوفة، بعدما دعاها الحسين عليه السلام إِلى ذلك، وتلاقى ذلك مع رغبتها وحرصها على نصرة الرّسالة التي اؤتمن أَخوها على إِيصالها نقيّةً صافية، لأَنّها كانت تشعر بأَنّ مسؤوليّتها الرّساليّة أَن تكون مع الإِمام الحسين عليه السلام، لتكون سنداً له وعضداً وقوّة.

وعاشت السيّدة زينب العاطفة في كربلاء بأَعلى درجاتها، في قلبها ومشاعرها، ولكنّها عندما علمت أَنّ دورها الرّساليّ يقتضي منها أَن تصبر، وأَن تكون شامخةً واعيةً في خطّ قيادة المرحلة، وقفت كلّ المواقف البطوليّة، فقدّمت النّموذج الأَفضل للرّجال والنّساء لحساب

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤٤، ص٣٢٥.

الموقف الرّساليّ وقوّة الموقف.

وهكذا، عندما أَراد أَن يقتل الإِمامَ عليّ بن الحسين عليه السلام، تعلقت به عمته زينب عليها السلام، وقالت: **(يا ابن زياد حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: والله لا أفارقه فان قتلته فاقتلني معه)** فنظر ابن زياد إِليها وإِليه ساعة ثم قال: عجباً للرحم، والله إِني لأَظنها ودّت أَني قتلتها معه[1].

فهي كانت تعتبر أَنّ الإِمام زين العابدين عليه السلام هو البقيّة الباقية من هذا البيت النبويّ الطّاهر، وحفظُه هو حفظٌ للإِسلام الصّافي النقيّ.

وهكذا كان موقفها صارخاً في الشّام أَمام الطّاغية يزيد، حيث راحت تقرّعه وتتحدّاه، بأَنّه لن يستطيع أَن يوقف هذه الرّسالة، ويميت ذكر أَهل البيت عليهم السلام، والدّور الذي يقومون به، ولذلك قالت: **(ولئن جرت عليّ الدّواهي مخاطبتك، إِلا أَنّي لأَستصغر قدرك، وأَستعظم تقريعك، وأَستكبر توبيخك... فكدْ كيدك، واسعَ سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا)**[2].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤٥، ص١١٧.

(٢) المصدر السابق: ج٤٥، ص١٣٤.

إيمانُها عليها السلام الوثيق باللهِ تعالى:

تربّت عقيلة بني هاشم في بيت الدعوة إلى الله تعالى، ذلك البيت الذي كان فيه مهبط الوحي والتنزيل، ومنه انطلقت كلمة التوحيد وامتدت أَشعتها المشرقة على جميع شعوب العالم وأُمم الأرض، وكان ذلك أَهمّ المعطيات لرسالة جدّها العظيم.

لقد تغذت حفيدة الرسول بجوهر الإِيمان وواقع الإِسلام، وانطبع حبّ الله تعالى في عواطفها ومشاعرها حتى صار ذلك من مقوماتها وذاتياتها، وقد أحاطت بها المحن والخطوب منذ نعومة أَظفارها، وتجرّعت أَقسى وأَمرّ ألوان المصائب، كلّ ذلك من أَجل رفع كلمة الله عالية خفّاقة.

إِنّ الإِيمان الوثيق بالله تعالى، والانقطاع الكامل إِليه كانا من ذاتيات الأُسرة النبوية ومن أَبرز خصائصهم، أَلم يقل سيد العترة الطاهرة الإِمام أَمير المؤمنين عليه السلام في دعائه: **(إِلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتك أَهلاً للعبادة فعبدتك)**[1]؟ وهو القائل: **(لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)**[2].

أَما سيّد شباب أَهل الجنة الإِمام الحسين عليه السلام، فقد أَخلص لله

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤١، ص١٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١، ص٣١٧.

تعالى كأَعظم ما يكون الإِخلاص، وذاب في محبته، وقد قدّم نفسه والكواكب المشرقة من أَبنائه وأَخوته وأَبناء عمومته قرابين خالصة لوجه الله، وقد طافت به المصائب والأَزمات التي يذوب من هولها الجبال، وامتُحن بما لم يُمتحن به أَحدٌ من أَنبياء الله وأَوليائه، كل ذلك في سبيل الله تعالى، فقد رأى أَهل بيته وأَصحابه الممجدين صرعى، ونظر إِلى حرائر النبوة وعقائل الوحي، وهنّ بحالة تميد من هولها الجبال، وقد أَحاطت به أَرجاس البشرية، وهم يوسعونه ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح، ليتقرّبوا بقتله إِلى سيّدهم ابن مرجانة، لقد قال وهو بتلك الحالة كلمته الخالدة، قال: (**اللهمَّ إِن هذا فيك قليل**)[1]، ولمّا ذُبح ولده الرضيع بين يديه، قال: (**هَوّنَ مَا نَزَلَ بي، أَنَّهُ بعينِ الله**)[2].

أرأيتم هذا الإيمان الذي لا حدود له!

أرأيتم هذا الانقطاع والتبتل إلى الله!

وكانت حفيدة الرسول زَيْنَب(سلام الله عليها) كأبيها وأخيها في عظيم إيمانها وانقطاعها إلى الله، فقد وقفت على جثمان شقيقها الذي مزّقته سيوف الشرك، وهو جثة هامدة بلا رأس، فرمقت السماء بطرفها، وقالت كلمتها الخالدة التي دارت مع الفلك وارتسمت فيه:

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ باقر القرشي: ج ٣، ص ٢٨٤.

(٢) مقتل الحسين، للمقرم: ص٣٤٣، اللهوف على قتلى الطفوف، السيد رضي الدين الحلي: ص١١٥.

(اللّهمّ تقبّل منّا هذا القربان)[١].

إنّ الإنسانية تنحني إجلالاً وخضوعاً أمام هذا الإيمان الذي هو السرّ في خلودها وخلود أخيها.

لقد تضرعت بطلة الإسلام بخشوع إلى الله تعالى أن يتقبّل ذلك القربان العظيم الذي هو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأيّ إيمان يماثل هذا الإيمان؟!

وأيّ تبتّل إلى الله تعالى يضارع هذا التبتّل؟!

لقد أظهرت حفيدة الرسول بهذه الكلمات الخالدة معاني الوراثة النبوية، وأظهرت الواقع الإسلامي، وأنارت السبيل أمام كلّ مصلح اجتماعي، وأنّ كلّ تضحية تُؤدّى للأُمّة يجب أن تكون خالصة لوجه الله غير مشفوعة بأيّ غرض من أغراض الدنيا.

ومن عظيم إيمانها الذي يبهر العقول، ويحيّر الألباب أنّها تهجدت لله تعالى حتى في ليلة الحادي عشر من المحرم، راضية ومسلمة بقضاء الله تعالى على عظيم بلاءه، ما دام في ذلك خدمة للإسلام ورفعة له.

لقد تهجدت لله تعالى في أقسى ليلة وأفجعها، والتي لم تمرّ مثلها على أيّ أحدٍ من بني الإنسان، فقد أحاطت بها المآسي التي تذوب من هولها الجبال، فالجثث الزواكي من أبناء الرسول وأصحابهم أمامها

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ باقر القرشي: ج٣، ص٣٠٤.

لا مغسّلين ولا مكفّنين، وخيام العلويات قد أَحرقها الطغاة اللئام، وسلبوا ما على بنات رسول الله صلى الله عليه وآله من حُلي، وما عندهنّ من أَمتعة وهُنَّ يعجنَّ بالبكاء لا يعرفن ماذا يجري عليهن من الأَسر والذلّ إِلى غير ذلك من المآسي التي أَحاطت بحفيدة الرسول صلى الله عليه وآله؛ وهي شاكرة لله على هذه النعمة التي أَضفاها عليها وعلى أَخيها.

تدول الدول وتفنى الحضارات وهذا الإِيمان العلوي أَحقّ بالبقاء، وأَجدر بالخلود في هذا الكوكب الذي نعيش فيه.

عبادتها عليها السلام وانقطاعها إلى الله تعالى:

العبادة: من العبودية وهي غاية الخضوع والتذلل، وإِن من أَسرار تشريع العبادة وعللها: الشكر لله تعالى على نعمه الكثيرة التي لا تحصى، ومواهبه العظيمة التي لا تعدّ ولا تدرك عظمتها.

فإِنه تعالى هو المنعم المطلق الذي خلق الإِنسان بقدرته، ومنحه نعمة الوجود بعد أَن لم يكن شيئاً مذكوراً، ورزقه من النِعم ما لا يعد ولا يحصى، فهو تعالى أَهل لأَنْ يُعْبَد، وإِنما يعبده الأَحرار؛ لأَنه أَهل للعبادة كما قال الإِمام أَمير المؤمنين عليه السلام: (**إِلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتك أَهلا للعبادة فعبدتك**)[1]. وتلك هي عبادة الأحرار.

نعم، بالعبودية لله تعالى يتحرر الإنسان من عبودية ما سوى الله، كما أَن بالعبودية لله تعالى ينال الإِنسان المقامات الرفيعة والجاه العظيم عند الله سبحانه، وأَن مقام كل مقرب عند الله يكون بقدر عبوديته وعبادته لله تعالى.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي الليل كله، ولقد قام صلى الله عليه وآله عشر سنين على أَطراف أَصابعه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه، فأَنزل الله عليه:

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤١، ص١٤.

﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[١].

فقال صلى الله عليه وآله: **(أَو لا أَكون عبداً شكوراً)**[٢].

وكان أَمير المؤمنين عليه السلام يصلي كل يوم وليلة أَلف ركعة، عن أَبي بصير قال: دخلنا على أَبي عبد الله عليه السلام فقال له أَبو بصير: ما تقول في الصلاة في شهر رمضان؟ فقال: **(لشهر رمضان حرمةٌ وحقٌّ لا يشبهه شيءٌ من الشهور، صلِّ ما استطعت في شهر رمضان تطوعاً بالليل والنهار، فإن استطعت أَن تصلي في كل يوم وليلة أَلف ركعة [فافعل] إنَّ علياً عليه السلام في آخر عمره كان يصلي في كل يوم و ليلة أَلف ركعة)**[٣]، ولم يترك النافلة حتى في الحروب، كما روي عنه في صلواته ليلة الهرير[٤] بصفين.

عن الحسن بن محمد الديلمي في (الارشاد) قال: كان علي عليه السلام يوماً في حرب صفين مشتغلاً بالحرب والقتال وهو مع ذلك بين الصفين يراقب الشمس، فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، ما هذا الفعل؟ قال: **(أُنظر إِلى الزوال حتّى نصلي)**، فقال له ابن عباس: وهل

(١) سورة طه: الآية ١-٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج١٠، ص٤٠، ب٢ ح ١.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج٤، ص١٥٤.

(٤) إنما سميت الليلة بليلة الهرير لكثرة أصوات الناس فيها للقتال، وقيل: لاضطرار معاوية وفزعه عند شدة الحرب واستيلاء أهل العراق كالكلب فان الهرير أنين الكلب عند شدة البرد.

هذا وقت الصلاة؟ إِنَّ عندنا لشغلاً بالقتال عن الصلاة، فقال عليه السلام: **(على ما نقاتلهم؟ إِنما نقاتلهم على الصلاة)**، قال: ولم يترك صلاة الليل قط حتى ليلة الهرير)[١].

وكذلك كانت الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) تصلي عامة الليل، فإِذا اتضح عمود الصبح أَخذت تدعو للمؤمنين والمؤمنات.

وكان الأَئمة من ولدها عليهم السلام يضرب بهم المثل في العبادة.

أَما زَيْنَب عليها السلام فلقد كانت في عبادتها ثانية أُمها الزهراء عليها السلام، وكانت تقضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن.

وإِنها (صلوات الله عليها) ما تركت تهجدها لله تعالى طول دهرها، حتى ليلة الحادي عشر من المحرم.

فقد روي عن زين العابدين عليه السلام أَنه قال: **(رأيتها تلك الليلة تصلي من جلوس)**[٢].

وعنه عليه السلام أَنه قال: **(إِن عمّتي زَيْنَب مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقنا إِلى الشام ما تركت نوافلها الليلية)**[٣].

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٤، ص٢٤٧.

(٢) شجرة طوبى، محمد مهدي الحائري: ج٢، ص٣٩٣.

(٣) وفيات الأئمة، من علماء البحرين والقطيف: ص٤٤١.

وقالت فاطمة بنت الحسين عليها السلام: **(وأَما عمتي زَيْنَب فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة** – أَي: العاشرة من المحرم – **في محرابها تستغيث إلى ربها، فما هدأت لنا عين، ولا سكنت لنا رنة)**[١].

وروى بعض عن الإِمام زين العابدين عليه السلام أَنه قال: **(إِن عمتي زَيْنَب كانت تؤدي صلواتها من قيام الفرائض والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام، وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس، فسألتها عن سبب ذلك فقالت: أُصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال، لأَنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأَطفال، لأَن القوم كانوا يدفعون لكل واحد مِنا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم و الليلة)**[٢].

ولما كانت السيدة زَيْنَب عليها السلام عقيلة خدر الرسالة من سلالة رسول الله صلى الله عليه وآله وذريته، وقد هذّبت نفسها وروضتها على العبادة والتقوى، والخير والإِحسان، تأهلت لأَن تنال حظاً من العصمة، المعبر عنه بـ: العصمة الصغرى، وقد أَشار إِلى ذلك الإِمام زين العابدين عليه السلام في بعض كلامه لها.

---

(١) وفيات الأئمة، من علماء البحرين والقطيف: ص٤٤١.

(٢) المصدر السابق: ص٤٤١.

زهدها عليها السلام في الدنيا:

من خصال العقيلة زَيْنَب عليها السلام: زهدها في الدنيا، فقد نبذت جميع زينتها ومباهجها، مقتدية بأَبيها الذي طلّق الدنيا ثلاثاً لا رجعة له فيها، فعن ضِرَارِ بْنِ ضَمْرَةَ اَلضَّابِيِّ حَمْزَةَ اَلضَّبَائِيِّ عِنْدَ دُخُولِهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَمَسْأَلَتِهِ لَهُ عَنْ أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: فَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ، وَقَدْ أَرْخَى اَللَّيْلُ سُدُولَهُ، وَهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ، قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ اَلسَّلِيمِ، وَيَبْكِي بُكَاءَ اَلْحَزِينِ، وَهُوَ يَقُولُ: **(يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكِ عَنِّي، أَبِي تَعَرَّضْتِ، أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ، لاَ حَانَ حِينُكِ، هَيْهَاتَ غُرِّي غَيْرِي، لاَ حَاجَةَ لِي فِيكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلاَثاً لاَ رَجْعَةَ فِيهَا، فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ، آهِ مِنْ قِلَّةِ اَلزَّادِ، وَطُولِ اَلطَّرِيقِ، وَبُعْدِ اَلسَّفَرِ، وَعَظِيمِ اَلْوِرْدِ)**[1].

وهي المقتدية بأُمّها سيّدة نساء العالمين عليها السلام، فقد كانت فيما رواه المؤرّخون لا تملك في دارها سوى حصير من سعف النخل وجلد شاه، وكانت تلبس الكساء من صوف الإبل، وتطحن بيدها الشعير، إلى غير ذلك من صنوف الزهد والإعراض عن الدنيا، وقد تأثرت عقيلة زَيْنَب عليها السلام بهذه الروح الكريمة، فزهدت في جميع مظاهر الدنيا، وكان من زهدها أَنّها ما ادّخرت شيئاً من يومها لغدها، حسب ما رواه عنها

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٤٨٠.

الإِمام زين العابدين عليه السلام[١]، وقد طلّقت الدنيا، وزهدت فيها، وذلك بمصاحبتها لأَخيها أَبي الأَحرار عليه السلام، فقد علمت أَنه سيستشهد في كربلاء، كما أَخبرها بذلك أَبوها، فصحبته وتركت زوجها الذي كان يرفل بيته بالنعيم ومتع الحياة، رفضت ذلك كلّه، وآثرت القيام مع أَخيها لنصرة الإِسلام، والذبّ عن مبادئه وقيمه، وهي على علم بما تشاهده من مصرع أَخيها، وما يجري عليها بالذات من الأَسر والذل، ولكنها أَقدمت على ذلك خدمة لدين الله تعالى.

(١) صحيح الترمذي: ج٢، ص٣١٩، وقريب منه رواه الحاكم في مستدركة: ج٣، ص١٤٩، وابن الأثير في أُسد الغابة: ج٥، ص٥٢٣، والخطيب في تأريخ بغداد: ج٧، ص٣٦، وغيرهم.

قدراتها العلمية عليها السلام:

كانت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله في فجر الصبا آيةً في ذكائها وعبقريتها، فقد حفظت القرآن الكريم، كما حفظت أَحاديث جدّها الرسول صلى الله عليه وآله فيما يتعلّق بأَحكام الدين، وقواعد التربية، وأُصول الأَخلاق، وقد حفظت الخطاب التأريخي الخالد الذي أَلقته أُمّها سيّدة النساء فاطمة عليها السلام في (الجامع النبوي) احتجاجاً على أَبي بكر لتقمّصه للخلافة، ومصادرته لـ(فدك) التي أَنحلها إِيّاها أَبوها رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد روت خطبة أُمِّها التي أَلقتها على السيّدات من نساء المسلمين، حينما عُدنها في مرضها الذي توفّيت فيه، كما روت عنها كوكبة من الأَحاديث.

وقد ظهر من السيدة زَيْنَب عليها السلام ما يدل على علمها وفضلها وذلك في مواقع ومواقف:

منها: قيل لما كان العباس وزينب - وَلَدَا عليٍّ عليهم السلام - صغيرين، قال عليٌّ عليه السلام للعباس: قل: **(واحد)** فقال: واحد، فقال **(قل: اثنان)** قال: **(استحي أَن أَقول باللِّسان الذي قلت واحد اثنان)**، فقبّل علي عليه السلام عينيه، ثم التفت إِلى زينب، وكانت على يساره والعباس عن يمينه، فقالت: يا أَبتاه أُتحِبُنَا؟ قال: **(نعم يا بني، أَولادنا أَكبادنا)** فقالت: **(يا أَبتاه حُبّان لا يجتمعان في قلب المؤمن: حبُّ الله، وحُبُّ الأَولاد، وإِن كان لابد لنا، فالشفقة لنا، والحب لله خالصاً، فَازداد علي عليه السلام بهما**

حُبّاً)[١].

وإذا تأمّل هذا الكلام المتأمل رأى فيه عِلْماً جَمّاً، فإذا عرف صدوره من طفلة كزَيْنَب عليها السلام يوم ذاك، بانت له منزلتها في العلم والمعرفة.

وكان من فضلها واعتصامها بالله تعالى أَنّها قالت: **(من أَراد أَن لا يكون الخلق شفعاؤه إِلى الله فليحمده، أَلم تسمع إِلى قوله: سمع الله لمن حمده، فخَفِ اللهَ لقُدْرتهِ عَليك، واسْتَحِ منه لقربهِ منك)**[٢].

وما كان منها عليها السلام: عندما رأت ابن أَخيها الإِمام السجاد عليه السلام -وهو إِمام الصبر ومعلمه- يجود بنفسه لما نظر إِلى أَهله كالأَضاحي مجزرين وبينهم ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله بحالة تنفطر لها السماوات، وتنشق الأَرض، وتخرُّ منه الجبال هدّاً، فقالت له تسلّيه وتصّبره قائلة: **(مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وأخوتي، فوالله إن هذا لعهد من الله إلى جدّك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة، والجسوم المضرّجة، فيوارونها، وينصبون بهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يدرس اثره، ولا يمحى رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر، وأشياع الضلال في محوه**

---

(١) مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري: ج١٥، ص٢١٥.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ج٧، ص١٤٠.

وتطميسه، فلا يزداد إلا علواً[١].

وقد تحقق كل ما قالته عليها السلام مع أَنها أُمور غيبية لا يطلع عليها أَحد إِلا من كان مُلْهماً من الله تعالى.

وما كان منها عليها السلام: ما أَشار إِليه الفاضل الدربندي وغيره: أَنها عليها السلام كانت تعلم علم المنايا والبلايا، بل جزم في (أَسراره) أَنها (صلوات الله عليها) أَفضل من مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم وغيرهما من فضليات النساء، ومن نظر في (أَسرار الشهادة) رأى فيه من الاستنباطات والتحقيقات في حق زَيْنَب(صلوات الله عليها) ما هو أَكثر بكثير.

وما كان منها عليها السلام: ممّا يدلّ على مزيد فضلها أَنّها كانت لها نيابة خاصة عن أَخيها الإِمام الحسين عليه السلام - في حال غيابه- فيرجع إِليها المسلمون في المسائل الشرعية، وروي: أَن الناس كانوا يرجعون إِليها في الحلال والحرام، حتى بَرئ الإِمام زين العابدين عليه السلام من مرضه[٢].

ويكفي للتدليل على فضلها وسعة معارفها كان الإِمام زين العابدين عليه السلام يروي عنها، وكذلك كان يروي عنها عبد الله بن جعفر، والسيّدة فاطمة بنت الإِمام الحسين، وكان ابن عباس حبر الأُمّة كان

---

(١) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ص٢٦١.

(٢) راجع الطبقات الكبرى: ج١، ص٣٦٨، نقلا عن كمال الدين: ص٥٠١، الباب٤٥، ح٢٧.

يسألها عن بعض المسائل التي لا يهتدي لحلّها، كما روى عنها كوكبة من الأَخبار، وكان يعتزّ بالرواية عنها، ويقول: (حدّثتني عقيلتنا زَيْنَب بنت علي عليه السلام)[٣]، وقد روى عنها الخطاب التأريخي الذي أَلقته أُمّها سيّدة النساء فاطمة عليها السلام في جامع أَبيها صلى الله عليه وآله.

عالمة غير معلّمة:

العلم من أَفضل السجايا الإِنسانية، وأَشرف الصفات البشرية، به أَكمل الله أَنبياءه المرسلين، ورفع درجات عباده المخلصين، قال تعالى: ﴿**يَرْفَعْ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[٤].

وإِنما صار العلم بهذه المثابة؛ لأَنه يوصل صاحبه إِلى معرفة الحقائق، ويكون سبباً لتوفيقه في نيل رضاء الخالق، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله والأَئمة من أَهل بيته عليهم السلام يحثون الأُمة على طلب العلم، وكانوا يغذّون أَطفالهم العلم كما يغذّونهم اللبن.

أَما زَيْنَبُ عليها السلام المتربية في مدينة العلم النبوي، المعتكفة بعده ببابها العلوي، المتغذية باللبان الفاطمي من أُمها الصديقة الطاهرة (سلام الله عليها)، وقد طوت عمراً من الدهر مع الإِمامين السبطين يزّقانها العلم زّقاً، فهي من عياب علم آل محمد عليهم السلام، وعلى فضائلهم التي اعترف بها عدوهم الأَلد يزيد الطاغية بقوله في الإِمام السجاد عليه السلام: (**إِنهُ من أَهل**

(٣) مقاتل الطالبيين، أبي الفرج الأصفهاني: ص٦٠.

(٤) سورة المجادلة: آية ١١.

بيت زُقّوا العِلمَ زَقّاً)[١].

وقد نص لها بهذه الكلمة ابن أَخيها الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: (**أَنتِ بحمدِ الله عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهمة**)[٢].

وهذا اللقب منحها الإمام زين العابدين عليه السلام ووصفها به، وذلك حينما أَراد تسليتها، وتعزيتها، وتكريمها، وتزكيتها عليها السلام على مرأى من الناس ومسمع:

أَولاً: ليعلمهم بالمقام الرفيع الذي وهبه الله تعالى لها (سلام الله عليها).

ثانياً: وليهون من وقع المصائب العظيمة عليها[٣]، فإِن الإِمام زين العابدين عليه السلام لما رأى عمّته زَيْنَب عليها السلام وهي في أَسرها تخطب على الجماهير المتجمعة من أَهل الكوفة، الذين قد خرجوا للتفرج عليهم، والتفت إِلى أَنها عليها السلام قد استعادت في ذاكرتها كل المصائب العظيمة التي جرت عليها، واستعرضت كل انتهاكات القوم أَمام مخيلتها، خاف عليها أَن تموت حسرة وغُصّة.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤٥، ص ١٣٨، ب ٣٩ ح١.

(٢) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ص٣٠٥ فصل خطبة زَيْنَب بنت علي ابن ابي طالب عليه السلام، سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ج٤، ص٣١٥.

(٣) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ص٣٠٥، فصل خطبة زَيْنَب بنت علي ابن أبي طالب عليه السلام.

ثم إنه يمكن أَن يستفاد من كلام الإِمام السجادعليه السلام المزبور في حق عمته زَيْنَبعليها السلام أُموراً:

١- أَن السيدة زَيْنَبعليها السلام كانت قد بلغت هذه المرتبة العظيمة والمقام الرفيع عند الله تعالى، وأَن مادة علمها من سنخ ما منح به رجالات بيتها الرفيع أَفيض عليها إِلهاماً، لا بتخرج على أُستاذ، وأَخذ عن مشيخة، وإِن كان الحصول على تلك القوة الربانية بسبب قابليتها، وتهذيبات جدها وأَبيها وأُمها وأَخويها، ولانتمائها إِليهم واتحادها معهم في الطينة، فأُزيحت عنها بذلك الموانع المادية، وبقي مقتضى اللطف الفياض الإِلهي وحده، وإِذ كان لا يتطرقه البخل بتمام معانيه عادت العلة لإِفاضة العلم كله عليها بقدر استعدادها تامة، فأُفيض عليها بأَجمعه، سوى ما اختص به أَئمة الدينعليهم السلام من العلم المخصوص بمقامهم الأَسمى.

ولولا ذلك لما نعتها ابن أَخيها الإِمام السجادعليه السلام وهو معصوم بهذا النعت، ولما وصفها بهذه الصفة.

٢- إِن الإِمامعليه السلام أَراد بكلامه المذكور في حق عمته زَيْنَبعليها السلام بيان شأنها، وإِظهار عظمتها.

٣- إِن الإِمامعليه السلام أَراد أَن يشكر عمته زَيْنَبعليها السلام بكلامه هذا، على ما أَسدتهعليها السلام إِليه في كربلاء من خدمة كبرى، حيث رأته يجود بنفسه من عظم المصاب، فعزّته بمصابه، وصبّرته عليه، فقامعليه السلام في الكوفة بعمل مماثل لما قامت بهعليها السلام تجاهه، إِضافة إِلى أَن من أَهم الكمالات

النفسية، والمقامات الإِنسانية، هو مقام العلم، فإِن العلم هو قمة كل شرف، وأَفضل كل الملكات، وغذاء الروح، وبه استمرار الحياة المعنوية، وشرفه ذاتي، وهذا ما لا يستطيع أَحد إِنكاره، إِذ علو مقام العلم لا يخفى على أَحد.

ومن نافلة القول: إِن العلم على قسمين: اكتسابي وموهوبي، وبعبارة أُخرى: تحصيلي ولدنّي.

أَما الإِكتسابي والتحصيلي: فهو أَن يسعى الإِنسان في طلب العلم ويجدّ في تحصيله، وبقدر سعيه وجدّه يستطيع الإِنسان أَن ينال من درجات العلم، وينتفع من بركاته.

وأَما الموهوبي واللَّدُنّي: فهو العلم الذي يمنحه الله تعالى خالق الإِنسان بعض عباده، ممن له أَهلية ذلك، ويقذفه في قلب من هو كفو لها، وذلك من غير تجشم عناء التعليم، ولا تحمل أَتعاب التحصيل، فبعض يلهمه الله تعالى العلم إِلهاماً غيبياً، ومن دون واسطة، وبعض يلهمه بواسطة الملائكة ويريه الملائكة أَيضاً ويسمى بالوحي، وبعض لا يريه الملائكة، ويسمى هذا الذي يوحى إِليه بواسطة الملائكة ولا يرى الملائكة بالمُحَدّث، ولكل مقام خاص ودرجة خاصة تتفاوت رفعة وعلواً.

والحصول على هذه المقامات الرفيعة من العلم اللدنّي صعب

جداً، ولا يتسنى لأَحد من الناس الوصول إِليها إِلا الأَنبياء والرسل، والأَوصياء والأَولياء.

ثم إِن الأَنبياء والرسل والأَوصياء والأَولياء الذين هم وحدهم المختصون بالعلم اللَّدُنّي يكونون بالنسبة إِلى هذا العلم على درجات، فمنهم من قد حاز على درجة منه، ومنهم على درجتين، ومنهم على ثلاث درجات، والذي قد حاز على كامل الدرجات وأَعلى المراتب، هو أكمل المخلوقات، وأشرف الكائنات، سيد الأنبياء وأشرف المرسلين، حبيب إله العالمين، محمد وأهل بيته المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين).

والسيدة زَيْنَب عليها السلام هي من هذا البيت الرفيع: بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومعدن العلم، وأَهل بيت الوحي، فلا عجب أَن تكون قد نالت درجة الإِلهام، فهي إِذن ملهمة بصريح كلام ابن أَخيها الإِمام السجاد عليه السلام حين قال لها: (**يَا عَمّة أَنْتِ بِحَمْدِ الله عَالِمَةٌ غَيْرُ مُعَلَّمَة...**)[1] إِذ لا يكون العلم بلا تعلّم إِلا عن طريق الإِلهام.

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ص٣٠٥ فصل خطبة زَيْنَب بنت علي ابن ابي طالب عليها السلام، سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ج٤، ص٣١٥.

بلاغتها عليها السلام:

علم واسع، وحكمة بالغة، وخطاب فصل، وشجاعة ربانية، وأَدب نافذ، وتعبير فصيح، كل ذلك يشكل عناصر بلاغة الصديقة زينب.

فمن أَروع الكلام الذي تجلّت آثاره في الناس، وسبب تغييراً أَساسياً في المجتمع وغَيَّرَ الآراء حيال موضوع ذي أَهمية في ذاك الأَوان، هو كلام سيّدة بلغية من بيت النبوة تجلت في كلامها رسالة جدها، وبلاغة أَبيها، وفعلت بالطغاة ما فعلت، وجعلتهم عبرة لمن اعتبر إِلى يوم الدين.

إِن ما حدث بعد عاشوراء كان حركة عظيمة بحيث انقلبت الأُمور على عكس ما أَراد الحكام في الشام والكوفة، ووجّهت مصير مأساة كربلاء على خلاف تخطيط الجائرين.

لقد كان من أَروع ما خطط له الإِمام الحسين عليه السلام في ثورته الكبرى حمله عقيلة بني هاشم وسائر مخدرات الرسالة معه إِلى العراق، فقد كان على علم بما يجري عليهن من النكبات والخطوب، وما يقمن به من دور مشرف في إِكمال نهضته وإِيضاح تضحيته وإِشاعة مبادئه وأَهدافه، وقد قمن حرائر النبوة بإِيقاظ المجتمع من سباته، وأَسقطن هيبة الحكم الأُموي، وفتحن باب الثورة عليه، فقد أَلقين من الخطب الحماسية ما زعزع كيان الدولة الأُموية[1].

(١) السيدة زَيْنَب بطلة التاريخ ورائدة الجهاد في الإسلام، الشيخ باقر القرشي: ص٢٠٨.

صَبْرُهَا عليها السلام:

من الخصال الفذّة التي تسلّحت بها مفخرة الإِسلام وسيّدة النساء زَيْنَب عليها السلام هي صبرها على نوائب الدنيا وفجائع الأَيام، فقد تواكبت عليها الكوارث منذ فجر الصبا، فرزئت بجدّها الرسول صلى الله عليه وآله الذي كان يحدب عليها، ويفيض عليها بحنانه وعطفه، وشاهدت الأَحداث الرهيبة المروعة التي دهمت أَباها وأُمّها عليهما السلام بعد وفاة جدّها، فقد أُقصي أَبوها عليه السلام عن مركزه الذي أَقامه فيه النبي صلى الله عليه وآله، وأَجمع القوم على هضم أُمّها عليها السلام حتى توفيت وهي في روعة الشباب وغضارة العمر، وقد كَوَتْ هذه الخطوب قلب العقيلة عليها السلام إِلّا أَنّها خلدت إِلى الصبر، وتوالت بعد ذلك عليها المصائب، فقد رأت شقيقها الإِمام الحسن الزكي عليه السلام قد غدر به أَهل الكوفة، حتى اضطر إِلى الصلح مع معاوية الذي هو خصم أَبيها وعدوّه الأَلد، ولم تمض سنين يسيرة حتى اغتاله بالسمّ، وشاهدته وهو يتقيأ دماً من شدة السمّ حتى لفظ أَنفاسه الأَخيرة.

وكان من أَقسى ما تجرعتّه من المحن والمصائب يوم الطف، فقد رأت شقيقها الإِمام الحسين عليه السلام قد استسلم للموت لا ناصر له ولا معين، وشاهدت الكواكب المشرقة من شباب العلويين صرعى قد حصدتهم سيوف الأُمويين، وشاهدت الأَطفال الرضع يُذبّحون أَمامها.

لقد ذبح ابناءها عون ومحمد، وقتل عبد الله[١] على مشهد منها فلم تجزع، ثم استشهد أَمام عينها أَمامها الحسين عليه السلام، وأُخوتها، وأَبناء إِخوتها، فصبرت، وكانت مثلاً في رباطة الجأش والحكمة في تدبير الأُمور، وقيادة الموقف الصعب.

إِنَّ أَي واحدة من رزايا سيدة النساء زَيْنَب عليها السلام لو ابتلي بها أَيّ إِنسان مهما تذرّع بالصبر وقوة النفس لأَوهنت قواه، واستسلم للضعف النفسي، وما تمكن على مقاومة الأَحداث، ولكنّها (سلام الله عليها) قد صمدت أَمام ذلك البلاء العارم، وقاومت الأَحداث بنفس آمنة مطمئنة راضية بقضاء الله تعالى وصابرة على بلائه، فكانت من أَبرز المعنيين بقوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٤]، لقد صبرت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله وأَظهرت التجلّد وقوة النفس أَمام أَعداء الله، وقاومتهم بصلابة وشموخ، فلم يشاهد في جميع فترات التأريخ سيدة مثلها في قوة عزيمتها وصمودها أَمام الكوارث والخطوب.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٥-١٥٧.

(٣) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٤) سورة النحل: الآية٩٦.

يقول الحجّة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء في صبرها وعظيم محنتها:

لله صبر زَيْنَب العقيلة كم شاهدت مصائباً مهولة
رأت من الخطوب والرزايا أمراً تهون دونه المنايا
رأت كرام قومها الأماجد مجزرين في صعيد واحد
تسفي على جسومها الرياح وهي لذوبان الفلا تباح
رأت رؤوساً بالقنا تشال وجثثاً أكفانها الرمال
رأت وضيعاً بالسهام يفطم وصبية بعد أبيهم أيتموا
رأت شماتة العدو فيها وصنعه ما شاء في أخيها
وإن من أدهى الخطوب السود وقوفها بين يدي يزيد

وقال السيّد حسن البغدادي:

يا قلب زَيْنَب ما لاقيت من محن فيك الرزايا وكل الصبر قد جمعا
لو كان ما فيك من صبر ومن محن في قلب أقوى جبال الأرض لانصدعا
يكفيك صبراً قلوب الناس كلهم تفطّرت للذي لاقيته جزعاً

لقد قابلت العقيلة ما عانته من الكوارث المذهلة والخطوب السود بصبر يذهل كل كائن حي.

وحينما كانت أَسيرة وربما مكبّلة، وكانت قد أَنهكتها المصائب والمتاعب الروحية والجسدية، ولكنها كانت تقود المعارضة من موقع الأَسر، كما تدبر شؤون الأُسارى له فياله من صبر عظيم لا يمكن أَن يناله بشر إِلا بفضل الله وحسن التوكل عليه.

وفي عشية عاشوراء حين أَحرقت بنو أُمية خيام أَهل البيت عليهم السلام وجاءت زَيْنَب عليها السلام إِلى الإِمام زين العابدين عليه السلام، وكان قد اشتد به المرض، فسألته باعتباره إِماماً مفترض الطاعة بعد الإِمام الحسين عليه السلام، سألته عن واجبها فأَمرها والنسوة بالفرار، فلما انتشر بقايا آل الرسول في أَطراف وادي كربلاء، عادت زَيْنَب عليها السلام إِلى خيمة الإِمام عليه السلام وأَنقذته من وسط النيران واطمأنت على سلامته، ثم أَخذت هي وأُختها أُم كلثوم بالتفتيش عن النساء والأَطفال، وجمعتهم تحت خباء نصف محترق، إِنَّ مثل هذا العمل العظيم لا يصدر من امرأة مفجوعة بعشرات المصائب العظيمة، إِلا إِذا كانت في قمة الصبر، وما هذا الصبر إِلا بالله العظيم.

وعندما نودي بآل الرسول بالرحيل من وادي كربلاء، ومروا بالأَسرى على أَجساد ذويهم نكاية بهم، فأَلقى الإِمام زين العابدين عليه السلام نظرة وداع أَليمة على جسد أَبيه عليه السلام المُقَطّع فاستبدَّ به الحزن، ورمقته الصديقة زَيْنَب عليها السلام، وأَحسّت أَن حجة الله وإِمام زمانها علي بن الحسين عليه السلام في خطر إِذ يكاد الحزن يقضي عليه فأدركت الموقف وتوجهت إِليه

قائلة: (**مالي أَراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأَبي وأُخوتي؟**).

فقال الإِمام زين العابدين عليه السلام: (**وكيف لا أَجزع وأَهلع، وقد أَرى سيدي وإِخوتي وعمومتي وولد عمي وأَهلي مضرجين بدمائهم، مرملين بالعراء، مسلبين، لا يكفنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أَحد، ولا يقربهم بشر، كأَنهم أَهل بيت من الديلم والخزر**).

فقالت: (**لا يجزعنّكَ ما ترى فوالله إِن ذلك بعهد من رسول الله إِلى جدك وأَبيك وعمك، وقد أَخذ الله ميثاق أُناس من هذه الأُمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأَرض، وهم معروفون في أَهل السماوات، إِنهم يجمعون هذه الأَعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطف علما لقبر أَبيك سيد الشهداء لا يدرس أَثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأَيام، ويجتهدن أَئمة الكفر وأَشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أَثرُهُ إِلا ظهوراً، وأَمره إِلا علواً**)[1].

وهكذا بعثت السيدة زَيْنَب عليها السلام روح السكينة في قلب الإِمام سلام الله عليه.

هذه صور من صبر الصديقة زَيْنَب عليها السلام وشجاعتها وهي صور تعكس عمق ذلك القلب المؤيد بنور الإِيمان.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤٥، ص١٧٩ - ١٨٠.

مواقف تحكي صبر العقيلة زينب عليها السلام:

عشية يوم عاشوراء نظرت زَيْنَب إِلى أَرض طف فإِذا بها مثخنة بالجثث الطواهر، وهي تتناثر فوق مساحة واسعة كالأَضاحي، وقد فُصلت الرؤوس وسُلبت الأَجساد الطاهرة، وفي جانب آخر رمقت بقايا خيم محترقة، وثُلَّةً من الأَطفال المذعورين والنساء المفجوعات يتراكضون على غير هدى، وأَصواتهم ترتفع تارة بالبكاء على ذويهم، وأُخرى ينادون العطش العطش.

وقد أَحاط بهذا الوادي جيش لَجب، انتشى بالنصر وتشبع بروح الهمجية.

إِن مجرد تصور هذه الصورة الفجيعة تجعل أَكثر الناس حلماً ينهار، ولكن زَيْنَب عليها السلام بقيت صَامَده، ماذا فعلت؟ لملمت الأَطفال، وهَدّأت النساء وصَبَّرتهم، ثم قامت لربها تُصلي، ولعلها كانت تدعوا الله لكي يمنحها الصبر، وأَن يتقبل من آل محمد صلى الله عليه وآله هذه القرابين، كما كان دعاء أَخيها الإِمام الحسين عليه السلام في اللحظات الأَخيرة من حياته الكريمة حيث قال: (**اَللّـهُمَّ اَنْتَ مُتَعالِي الْمَكانِ، عَظيمُ الْجَبَرُوتِ، شَديدُ المِحالِ، غَنِيٌّ عَنِ الْخَلايِقِ، عَريضُ الْكِبْرِياءِ، قادِرٌ عَلى ما تَشاءُ، قَريبُ الرَّحْمَةِ، صادِقُ الْوَعْدِ، سابِغُ النِّعْمَةِ، حَسَنُ الْبَلاءِ، قَريبٌ إِذا دُعيتَ، مُحيطٌ بِما خَلَقْتَ، قابِلُ**

التُّوبَةِ لِمَنْ تابَ اِلَيْكَ، قادِرٌ عَلى ما اَرَدْتَ، وَمُدْرِكُ ما طَلَبْتَ، وَشَكُورٌ اِذا شُكِرْتَ، وَذَكُورٌ اِذا ذُكِرْتَ، اَدْعُوكَ مُحْتاجاً، وَاَرْغَبُ اِلَيْكَ فَقيراً، وَاَفْزَعُ اِلَيْكَ خائِفاً، واَبْكي اِلَيْكَ مَكْرُوباً، وَاَسْتَعينُ بِكَ ضَعيفاً، وَاَتوَكَّلُ عَلَيْكَ كافِياً، اُحْكُمْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا فَاِنَّهُمْ غَرُّونا وَخَدَعُونا وَغَدَروا بِنا وَقَتَلُونا، ونَحْنُ عِتْرَةُ نَبِيِّكَ، وَوَلَدُ حَبيبِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِالله، الَّذي اصطَفَيْتَهُ بِالرِّسالَةِ، وَائْتَمَنْتَهُ عَلى وَحْيِكَ، فَاجْعَلْ لَنا مِنْ اَمْرِنا فَرَجاً وَمَخْرجاً بِرَحْمَتِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ)[1].

ثم قال عليه السلام: **(صَبْراً على قَضَائِكَ يَا ربّ، لا إِلهَ سِواكَ، يَا غِياثَ المُستغيثينَ)** .

بلى هذا الإيمان الخالص الذي تجلى في كلمات السبط الشهيد عليه السلام في تلك اللحظات الحاسمة، وذلك الموقف الذي تجلى عند الصديقة زَيْنَب عليها السلام بعد الشهادة طبع المسيرة الحسينية بطابع توحيدي خالص.

هكذا تحمّلت عليها السلام تلك المصائب العظيمة التي احتسبتها عند الله، ثم عادت إِلى حيث كان المخيم فلما انتصف الليل أَخذت تصلي نافلة الليل من جلوس من عظم المصيبة.

وقبل أَيام حينما نزلت قافلة السبط في أَرض الطف، جلس الإِمام الحسين عليه السلام أَمام خيمته، وأَخذ يُصلح سيفه، وهو يتمثل بأَبيات

(١) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس: ج٣، ص ٣٠٤، والمصباح، للكفعمي: ص٥٤٤.

كانت العرب تنشدها عندما يحس أَحدهم بالخطر الداهم، وهو يقول:

يا دهـر أُفٍ لك من خليل كم لك بـالإشراق والأصيل
مـن صاحب وطـالـب قتيل والـدهر لا يقنـع بالبديل
وإنـــما الامـــر إلى الجليل وكـــل حـــي ســالـــك سبيلي

فلما سمعت أُخته الصديقة زَيْنَب عليها السلام ذلك فصاحت وأَثكلاه ليت الموت أَعدمني الحياة.

ثم تجمعت في ذاكرتها مصائبها فقالت: (اليوم ماتت أُمي فاطمة، وأَبي علي، وأَخي الحسن، يا خليفة الماضين، وثمال الباقـين)، فنـظر إِليها الحسين عليه السلام وقال لها: (يا أُختاه لا يذهبن بحلمك الشيطان، وترقرقت عيناه بالدموع، وقال: لو تُرك القَطا لنام، فقالت: يا ويلتاه افتغتصب نفسك اغتصاباً، فذلك اقرحُ لقلبي، واشدُّ على نفسي)، ثم لطمتْ وجهها، وخرت مغشيةً عليها.

فقال لها الإِمام الحسين عليه السلام بعد أَن أَفاقت: (يا أُختاه تعزّي بعزاء الله، واعلمي أَن أَهل الأَرض يموتون، وأَهل السماء لا يبقون، وإِن كل شيء هالك إِلا وجه الله تعالى، الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعودون وهو فرد وحده).

ثم قال لها: (يا أُختاه إِني أَقسمت عليك فابرّي قسمي، لا تَشُقّي عليَّ جَيْباً، ولا تخمشي عليَّ وجها، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور، إِذا

أَنا هلكت)[١]، ومنذ تلك اللحظة حين عرفت زَيْنَب أَن مسؤوليتها توجب عليها الصبر جلدت، واحتسبت الله في صبرها.

اتّصافُها عليها السلام بالعزة والكرامة:

من أَبرز الصفات النفسية الماثلة في شخصية سيدة النساء زَيْنَب عليها السلام هي: العزة والكرامة، فقد كانت من سيّدات نساء الدنيا في هذه الظاهرة الفذة، فقد حُملت بعد مقتل أَخيها من كربلاء إِلى الكوفة سبية، ومعها بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، قد نُهب جميع ما عليهنّ من حُلِيّ وما عندهنّ من أَمتعة، وقد أَضرّ الجوع بأَطفال أَهل البيت عليهم السلام وعقائلهم، فترفّعتْ العقيلة عليها السلام أَن تطلب من أُولئك الممسوخين – من شرطة ابن مرجانة– شيئاً من الطعام لهم، ولمّا انتهى موكب السبايا إِلى الكوفة، وعلمن النساء أَنّ السبايا من أَهل بيت النبوة(صلوات الله عليهم) سارعن إِلى تقديم الطعام إِلى الأَطفال الذين ذابت أَجسامهم من الجوع، فانبرت السيّدة زَيْنَب مخاطبة نساء أَهل الكوفة قائلة: (الصدقة محرّمة علينا أَهل البيت)[٢].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤٥، ص٣.

(٢) في مصباح الفقاهة للسيد الخوئي: ج١، ص٢٠٨: لا دليل على حرمة مطلق الصدقات على الهاشميين، وإِنما تحرم عليهم الصدقة الخاصة، أَعني زكاة المال والبدن، ولا يبعد أَن تحرم عليهم أَيضا الصدقات التي تعطى لدفع البلاء ورد القضاء، فإِن في ذلك مذلة ومهانة لا تناسب الذرية الطاهرة، ومن هنا كانت زينب الكبرى عليها السلام تأخذ الطعام من أَطفال أَبي عبد الله عليه السلام وترميه إِلى أَهل الكوفة وتقول:

ولما سمع أَطفال أَهل البيت عليهم السلام من عمّتهم ذلك أَلقوا ما في أَيديهم وأَفواههم من الطعام، وأَخذ بعضهم يقول لبعض: إِن عمتّنا تقول: الصدقة حرام علينا أَهل البيت.

أَيّ تربية فذّة تربّى عليها أَطفال أَهل البيت إِنّها تربية الأَنبياء والصدّيقين التي تسمو بالإِنسان فترفعه إِلى مستوى رفيع يكون من أَفضل خلق الله.

ولّما سُيِّرت سبايا أَهل البيت من الكوفة إِلى الشام لم تطلب السيّدة زَيْنَب طيلة الطريق أَيّ شيءٍ للأَطفال والنساء مع شدّة حاجتهم إِليها، فقد أَنفت أَن تطلب أَيّ مساعدة من أُولئك الجفاة الأَنذال الذين رافقوا الموكب.

لقد ورثت عقيلة بني هاشم من جدِّها وأَبيها العزّة والكرامة والشرف والإِباء، فلم تخضع لأَي أَحدٍ مهما قست الأَيام وتلبدت الظروف، إِنها لم تخضع إِلا إِلى الله تعالى.

ويلكم يا أَهل الكوفة إِن الصدقة علينا حرام.

شَجَاعتُهَا عليها السلام:

ولم يُشاهد الناس في جميع مراحل التأريخ أَشجع ولا أَربط جأشاً ولا أَقوى جناناً من الأُسرة النبوية الكريمة، فالإِمام أَمير المؤمنين عليه السلام عميد العترة الطاهرة كان من أَشجع خلق الله، وهو القائل: **(والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها)**[1]، وقد خاض أَعنف المعارك وأَشدّها قسوة، فجندل الأَبطال، وأَلحق بجيوش الشرك أَفدح الخسائر، وقد قام الإِسلام عبل الذراع، مفتول الساعد بجهاده وجهوده، فهو معجزة الإِسلام الكبرى، وكان ولده أَبو الأَحرار الإِمام الحسين عليه السلام مضرب المثل في بسالته وشجاعته، فقد حيّر الأَلباب، وأَذهل العقول بشجاعته وصلابته، وقوة بأسه، فقد وقف يوم العاشر من المحرم موقفاً لم يقفه أَي أَحدٍ من أَبطال العالم، فإِنه لم ينهار أَمام تلك النكبات المذهلة التي تعصف بالحلم والصبر، فكان يزداد انطلاقاً وبشراً كلما ازداد الموقف بلاءً ومحنةً، فإِنه بعدما صُرِعَ أَصحابهُ وأَهلُ بيته زَحَفَ عليه الجيش بأَسره، وكان عدده فيما يقول الرواة ثلاثين ألفاً فحمل عليهم وحده وقد طارت أَفئدتهم من الخوف والرعب، فانهزموا أَمامه كالمعزى إِذا شدّ عليها الذئب -على حدِّ تعبير بعض الرواة- وبقي صامداً كالجبل يتلقى الطعنات والسهام من كل جانب، لم يوهن له ركن، ولم تضعف له عزيمة.

---

(١) نهج البلاغة: ج٣، ص٧٣.

ولما سقط (سلام الله عليه) على الأَرض جريحاً قد أَعياه نزف الدماء تحامى الجيش الأُموي من الإِجهاز عليه خوفاً ورعباً منه.

وتمثلت هذه البطولة العلوية بجميع صورها وأَلوانها عند حفيدة الرسول وعقيلة بني هاشم السيّدة زَيْنَب (سلام الله عليها)، فعندما ادخل اسارى آل الرسول إِلى مجلس ابن زياد، ومثلوا أَمام سليل الأَدعياء ابن مرجانة، العتل الزنيم ابن المرأة الفاجرة، وأَبيهِ زياد الذي لم يعرف له أَبٌ، فاندفع الأَثيم يظهر الشماتة بلسانه الأَلكن قائلاً: (الحمد لله الذي فضحكم، وقتلكم، وأَكذّب أُحدوثتكم).

فانبرت حفيدة الرسول بشجاعة وصلابة قائلة: (**الْحَمْدُ لله الَّذِي أَكْرَمَنَا بِمُحَمدصلى الله عليه وآله، وَطَهَّرَنَا تَطْهِيراً، إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ وَيَكْذِبُ الْفَاجِرُ، وَهُوَ غَيْرُنا، وَهُوَ غَيرنَا**)[1].

لقد قالت هذا القول الصارم الذي هو أَمض من السلاح، وهي والمخدرات من آل محمّد في قيد الأَسر، وقد رفعت فوق رؤوسهن رؤوس حماتهن، وشهرت عليهن سيوف الملحدين.

لقد أَنزلت العقيلة -بهذه الكلمات- الطاغية من عرشه إِلى قبره، وعرّفته أَمام خدمه وعبيده أَنّه المفتضح والمنهزم، وأَنّ أَخاها هو المنتصر، ولم يجد ابن مرجانة كلاماً يقوله وهو في نشوة نصره الزائف سوى التشفّي بقتل عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، قائلاً: كيف رأيت صنع الله

(١) مثير الأحزان، ابن بما الحلي: ص٧١.

بأهل بيتك؟[١].

وانطلقت عقيلة بن هاشم بكل صلابة ورباط جأش وصمود، فأَجابت بكلمات الظفر والنصر لها ولأَخيها قائلة: (**ما رَأَيْتُ إلاّ جَميلاً، هؤُلاءَ قَوْمٌ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْقَتَلَ، فَبَرَزُوا إِلى مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَتَحَاجُّ وَتُخَاصَمُ، فَانْظُرْ لِمَنِ الْفَلجُ يَوْمَئِذٍ، هَبَلَتْكَ أُمُّكَ يَا بْنَ مَرْجَانَةَ**)[٢].

أَرأيتم هذا التبكيت الموجع؟ أَرأيتم هذه الشجاعة العلوية؟ فقد سجلت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله بموقفها وكلماتها فخراً للإسلام وعزاً للمسلمين ومجداً خالداً للأُسرة النبوية.

فغضب ابن زياد وقال له عمرو بن حريث إِنها امرأة ولا تؤاخذ بشيء من منطقها، فقال ابن زياد لقد شفاني الله من طغاتك والعصاة المردة من أَهل بيتك، فبكت، ثم قالت عليها السلام: (**لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثثت أَصلي، فإِن تشفيت بهذا فقد اشتفيت**)، فقال عبيد الله: هذه سجّاعة، ولعمري كان أَبوك شاعراً سجّاعاً، قالت عليها السلام: (**إِن لي عن السجاعة لشغلاً، وإِني لأَعجب ممن يشتفي بقتل أَئمتهِ، ويعلم أَنهم منتقمون منه في آخرته**)[٣]، إِنها رباطة جأش، وصبر وعلم وحكمة.

---

(١) مثير الأحزان، ابن نما الحلي: ص٧١.

(٢) المصدر السابق: ص٧١.

(٣) المصدر السابق: ص٧١.

وهكذا يتجلّى لنا موقفٌ شجاعٌ آخر لعقيلة الطالبيين عليها السلام، وذلك عندما طلب أَحد الأُمراء من يزيد الطاغية أَن يهب له فاطمة بنت علي عليه السلام وكانت وضيئة، قائلاً: يا يزيد هب لي هذه الجارية، فتعلقت بأُختها زَيْنَب عليها السلام، فدافعت زَيْنَب عليها السلام عنها، وتوجهت إِلى ذلك الشامي وقالت عليها السلام: **(كذبتَ والله ولعنتَ، ما ذاكَ لكَ، ولا لهُ)**، فغضب يزيد وقال: بل كذبتِ، والله لو شئتُ لفعلته.

قالت عليها السلام: **(لا والله ما جعل الله ذلكَ لكَ إِلا أَن تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا)**، فغضب يزيد ثم قال: إِياي تستقبلين بهذا ؟ إِنما خرج من الدين أَبوكِ وأَخوكِ.

فقالت عليها السلام: **(بدين الله ودين أَبي وأَخي وجدي اهتديت أَنْت وجدكَ وأَبوكَ)**.

قال (يزيد): كذبتِ يا عدوّةَ الله، قالت: **(أَمير يشتم ظالماً، ويقهر بسلطانه)**، فكأنه -لعنه الله- استحى، فسكت، فأَعاد الشامي -لعنه الله- فقال: يا أَمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، فقال له: اعزب، وهب الله لك حتفاً قاضياً[1].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤٥، ص١٥٦.

دورها عليها السلام في كربلاء:

لم تكن قضية كربلاء بالأَمر المفاجئ على السيدة زَيْنَب بنت أَمير المؤمنين عليه السلام، أَو من وحي الصدفة، بل كانت تعلم بها منذ نعومة أَظفارها ،كما كانت تعلم بأَنها شريكة أَخيها الإِمام الحسين عليه السلام وأَنّ لها دوراً مميزاً ملقاً على عاتقها، الأَمر الذي جعلها أَن تتمرّس على أَدائه وتفنن بإِتقانه حتّى جرى منها مجرى الدم في العروق، والظل الذي لا يفارق شخصه، فكانت يوم العاشر مهيأة نفسيّاً وذهنيّاً لتلك الواقعة.

صحيح أَنّ أَحداث كربلاء قبل وقوعها كانت في رحم الغيب ولا يعلم الغيب إِلا الله، ولكن من الصحيح أَيضاً أَنّ الله تعالى قد كشف لنبيه الأَعظم صلى الله عليه وآله أَستار الغيب، وأَظهره عليه، يقول تعالى: **(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا)**[1].

إِلا أَنّ الله أَخبر رسوله الأَكرم صلى الله عليه وآله بالمغيّبات، وهذا مما لاشك فيه، وقد ذكرته مصادر الفريقين بالإِجماع، ومن تلك المغيّبات التي تحدّث عنها رسول الله صلى الله عليه وآله واقعة كربلاء، وأَهل البيت عليهم السلام المعنيون بتلك الواقعة، فكانوا في طليعة من أَحاطهم الرسول بها علماً، كما يؤكد ذلك مختلف المصادر الحديثية والتاريخية.

ومن الطبيعي جداً أَن تكون السيدة زَيْنَب عليها السلام في أَجواء تلك

---

(١) سورة الجن: آية ٦٠.

النبوءة، وعلى معرفة بالخطوط العامة للحادثة، بل وببعض تفاصيلها وجزئياتها.

وقد صرّحت العقيلة زَيْنَب عليها السلام بمعرفتها المسبقة بواقعة كربلاء في الحديث الذي نقله ابن قولوية القمي (المتوفى سنة: ٣٦٧ هـ أو ٣٦٨ هـ) في كتابه (كامل الزيارة)، والحديث مروي بسند متصل إِلى الإِمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام قال:

(إِنه لمّا أَصابنا بالطف ما أَصابنا، وقُتل أَبي عليه السلام، وقُتل من كان معه من ولده وإِخوته وسائر أَهله، وحُملت حرمه ونساؤه على الأَقتاب يراد بنا الكوفة، فجُعلت أَنظر إِليهم صرعى، ولم يواروا، فيعظم ذلك في صدري، ويشتد لما أَرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبيّنت ذلك مني عمتي زَيْنَب بنت عليٍّ الكبرى، فقالت: ما لي أَراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأَبي وإِخوتي؟

فقلت: وكيف لا أَجزع ولا أَهلع، وقد أَرى سيدي وأُخوتي وعمومتي، وولد عمي وأَهلي مصرّعين بدمائهم مرّملين بالعراء، مسلّبين لا يكفّنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أَحد، ولا يقربهم بشر، وكأنهم أَهل بيت من الديلم والخزر؟

فقالت: لا يجزعنك ما ترى: فوالله إِنَّ ذلك لعهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله إِلى جدك وأَبيك وعمك، ولقد أَخذ الله ميثاق أُناس من هذه الأُمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأَرض، وهم معرفون في أَهل السماوات، إِنهم

يجمعون هذه الأَعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أَبيك سيد الشهداء، لا يُدرس أَثره، ولا يصفو رسمه، على كرور الليالي والأَيام، وليجتهدنَّ أَئمة الكفر، وأَشياع الضلالة، في محوه وتطميسه، فلا يزداد أَثرهُ إِلا ظهوراً، وأَمرهُ إِلا عُلوّاً.

فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر؟

فقالت: حدثتني أُمُّ أَيمن – مولاة رسول الله – أَن رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأَيام، وتستمر السيدة زَيْنَب عليها السلام في حديثها الطويل لابن أَخيها زين العابدين عليه السلام نقلاً عن أُمُّ أَيمن وهي تعدد ما يجري على أَهل البيت عليهم السلام من حوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حسب ما أَخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بين تلك الحوادث واقعة كربلاء، ثم تعقّب السيدة زَيْنَب عليها السلام على ما نقلته عن أُمِّ أَيمن بقولها: (فلمّا ضرب ابن ملجم (لعنه الله) أَبي عليه السلام ورأيت أَثر الموت منه قلت: يا أَبه حدثتني أم أيمن بكذا وكذا، وقد أَحببت أَن أَسمعه منك، فقال: يا بنية الحديث كما حدثتك أُمُّ أَيمن وكأني بك وببنات أَهلك سبايا بهذا البلد – أَي الكوفة – أَذلاء خاشعين)[1].

ولأَجل هذه المعرفة الكامنة في ذهن ومشاعر السيدة زَيْنَب عليها السلام نجدها قد أَخذت موقعها التاريخي بوعي وإِدراك مسبق جنباً إِلى

(١) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ص٤٤٤.

جنب ابن أَخيها الإِمام المعصوم زين العابدين عليه السلام، وأَنها كانت المبادرة للمشاركة، كما احتفظت بزمام الأَمر في مختلف المواقع والوقائع الثورية.

ويحدثنا التاريخ أَنّ السيدة زَيْنَب عليها السلام هي التي قررت وأَرادت الخروج مع أَخيها الحسين عليه السلام في ثورته، مع أَنها من الناحية الدينية والاجتماعية في عهدة زوجها عبد الله بن جعفر، والذي كان مكفوف البصر، كما كانت ربة منزلها والقائمة بشؤون أَبنائها، وكل ذلك لم يمنع التحاقها بركب أَخيها الحسين عليه السلام، إِذ أَنها اشترطت على زوجها الخروج مع أَخيها من ضمن شروط عقد الزواج، كما أَنها أَعربت عن مشاركتها منذ اليوم الأَول لخروج الإِمام الحسين عليه السلام من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله، وذلك حينما اعترضه ابن عباس على أَن لا يخرج معه عياله وأَطفاله، فسمع، قائلةً: (تقول: يابن عباس تشير على شيخنا وسيدنا أن يخلفنا هاهنا ويمضي وحده؟ لا والله، بل نحيا معه ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره؟ فالتفت ابن عباس وإذا المتكلمة هي زينب)[1] فالإِمام الحسين عليه السلام بالنسبة إِلى السيدة زَيْنَب عليها السلام يمثل أَعزّ شيء على قلبها، وأَقرب شيء إِلى نفسها في هذه الحياة، فكل هذه الاستعدادات أَهلتها للوقوف والتصدي للمؤامرات الأُموية بصبر لا تتحمله الجبال الرواسي، وبثقة عالية بقضاء الله وقدره معتبرة ذلك ابتلاءاً وامتحاناً إِليها لابد لها من النجاح فيه، بل إِنها وفي أَشدّ المواقف وأَفظعها كانت لا تنفك من الدعاء

(١) زَيْنَب الكبرى، جعفر النقدي: ص٩٤.

والتضرع إِلى الله بقبول عملها كجزء واجب تخشى عن القصور في تأديته، فكانت تضع يديها الكريمتين تحت جسد أَخيها أَبو عبد الله عليه السلام وترفعه إِلى السماء قائلةً: (اللّٰهمَّ تقبلْ مِنّا هذا القُرْبان)[1].

وتختم خطابها في مجلس يزيد بن معاوية بتأكيد رؤيتها الإِيجابية لما حصل لها ولأَهل بيتها من مصائب وآلام، حيث تقول عليها السلام:

(...فالحمدُ لله ربِّ العالمين، الذي ختم لأَولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة الرحمة، ونسأل الله أَن يُكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة إِنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل)[2].

(١) حياة الإمام الحسين، الشيخ باقر القرشي: ج ٣، ص ٣٠٤.

(٢) المصدر السابق: ج ٣، ص ٣٨٠.

رَكْبُ السَّبَايَا:

بعد أَن فرغ الجيش الأُموي من مقتل الحسين عليه السلام وأَصحابه عزم على الرحيل بعد ظهر اليوم الحادي عشر من المحرم، وقد حملوا معهم نساء الحسين وأَهل بيته عليهم السلام وصبيتهم، على نياق عجف بدون وطاء ولا غطاء، وعمدوا على المرور بهم على جثث القتلى شوقاً منهم إِلى إِثارة مشاعر وعواطف أطفال ونساء الحسين عليه السلام، وكان منظراً مذهلاً للنساء والأَطفال، فالأَجساد بلا رؤوس، والأَشلاء موزعة، والدماء تصبغ البسيطة.

وتأملت العقيلة زَيْنَب عليها السلام ذلك الموقف الرهيب، حيث ترى أَرض الشهادة ترتسم على ربوعها أَفظع مأساة، وتنظر إِلى النساء والأَطفال وقد علتهنّ الكآبة والدهشة، ومن جانب آخر ترى الجيش الأُموي يبالغ في إِظهار نشوة انتصاره الزائف، ويستعرض قوته وقدرته الغاشمة.

فمزقت العقيلة زَيْنَب عليها السلام أَجواء الرهبة والأَلم، واندفعت تشهر سلاح المظلومية لتصُوّبه تجاه المتغطرسين المغرورين، ولتُثبت لهم أَنهم ضعفاء مهزومون وإِن توهموا النصر، فأَطلقت صوتها الشجاع المدوي قائلة: (يا محمداه، هذا حسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطّع الأَعضاء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة) يقول الرواة: (فأَبكت كلَّ عدوٍ وصديق

حتى جرت دموع الخيل على حوافرها)[1].

وفي صبيحة اليوم الثاني عشر من المحرم دخل ركب السبايا تتقدمهم الرماح التي تحمل رأس الحسين وأَهل بيتهعليهم السلام، ورؤوس أَصحابه، وكان ذلك هدفاً سياسياً تطمح من خلاله الحكومة الأُموية تقوية شوكتها وتصميمها على سحق أَي محاولة تمرد أَو معارضة.

وللسيدة زَيْنَبعليها السلام في الكوفة تاريخ وذكريات، فقد كانت سيدة الكوفة أَيام خلافة أَبيها أمير المؤمنين عليعليه السلام قبل عشرين سنة من دخولها الآن، فلابد من موقف بطولي يعيد لها هيبتها ووقارها كأبنة خليفة للمسلمين قد جار الزمان عليها، فخطبت خطبتها المُدوّية وعَرَّفتهم بمكانتها ولمن تنتسب وما جرى عليهم من حيف وظلم.

(١) مقتل الحسين، عبد الرزاق المقرم: ص٣٠٧.

مُحَاولةُ التَّشفّي وإظهارُ النَّصرِ وزَيْنَب عليها السلام تردُّ بخطابٍ مُدَوٍّ:

لم تكتفِ الحكومة الأُموية بقتل الحسين عليه السلام فحسب، بل دعتهم أَحقادهم القديمة وموروثاتهم القبلية إِلى هتك ستر البيت المحمدي، وذلك من خلال تسييره وعرضه على القاصي والداني، وكانوا يرومون من خلاله استعراض قدراتهم العسكرية، وبث الرعب في قلوب من يحاول التجرئ على مملكتهم ، إِلاّ أَن هذا الركب أَحدث في قلوب الناس بركاناً من الغضب، وهم يسمعون كلام الرأس الشريف[1]، وهتاف الأَطفال بصرخة الإِباء، فكان حقاً تظاهرة إِعلامية تؤجج المشاعر وتلهب العواطف ضد السلطة الظالمة.

ولم تترك العقيلة زَيْنَب عليها السلام موسعاً من جهدها إِلاّ وجسدته بخطاب تلهب من خلاله القلوب الغاضبة على بني أُمية طيلة رحلتها الشاقة المؤلمة إِلى الكوفة ومنها إِلى الشام مروراً بسائر البلدان والمناطق.

وحتى في مجلس يزيد بن معاوية والذي قد خطط ليكون دخول

---

(١) قد روي أن رأس الإمام الحسين عليه السلام قد تكلم بالآيات القرآنية وبغيرها، من طرق السنة والشيعة، فراجع على سبيل المثال: الخصائص الكبرى: ج٢، ص١٢٥ و١٢٧، ومناقب آل أبي طالب: ج٢، ص١٨٨، وشرح الشافية وهي قصيدة أبي فراس: ص١٤٨، ومقتل العوالم: ص١٥١، وتفسير نور الثقلين: ج٣، ص٢٤٣، والبحار: ج٤٥، ص١٨٨ و١٧٢، ومصادر ذلك كثيرة لا مجال لاستقصائها.

السبايا إِلى مجلسه مهرجاناً يحتفل فيه بانتصاره على الحسين عليه السلام، فأَحضر كبار قادة جيشه وزعماء الشام، وأَحاط نفسه بأَجواء من الهيبة المصطنعة، لكن العقيلة زَيْنَب عليها السلام أَفسدت عليه كل ما صنع، وأَفشلت مهرجانه الضخم من خلال خطابها المُدوّي، الذي فضحت فيه يزيد، وعظم ما ارتكب من جريمة نكراء، وقبل خطابها حينما نظرت إِلى رأس أَخيها الحسين عليه السلام بين يدي يزيد، انتصبت قائمة وأَجهشت بالبكاء، ونادت بصوت حزين يقرح القلوب: (يَا حسيناهُ، يا حبيبَ رسولِ الله، يا بنَ مَكّة ومنى، يا بن فاطمة الزهراء سيدة النساء، يا بن بنت المصطفى، قال الراوي: فأبكت والله كل من كان في المجلس ويزيد ساكت)[1].

(١) حياة السيدة زَيْنَب الكبرى، جعفر النقدي: ص١١٤.

خُطْبة زَيْنَب بنت علي عليها السلام في الكوفة:

عن حذيم بن شريك الأَسدي[١]، قال لما أَتى علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالنسوة من كربلاء، وكان مريضاً، وإِذا نساء أَهل الكوفة يندبن مشققات الجيوب، والرجال معهن يبكون.

فقالَ زَيْنُ العَابدينَ عليه السلام - بِصَوْتٍ ضَئيلٍ، وَقدْ نَهَكته العلة -: إِنَّ هؤلاءِ يَبْكون علينا فمن قتلنا غيرهم، فأَومت زَيْنَب بنت علي بن أَبي طالب عليهما السلام إِلى الناس بالسكوت، قَالَ حِذْيَمٌ الْأَسَدِيُّ لَمْ أَرَ - وَالله- خَفِرَةً قَطُّ - أَي: زينب بنت علي عليه السلام- أَنْطَقَ مِنْهَا كَأَنَّهَا تَنْطِقُ وَتُفْرِغُ عَلَى لِسَانِ عَلِيٍّ عليه السلام وَقَدْ أَشَارَتْ إِلَى النَّاسِ بِأَنْ أَنْصِتُوا فَارْتَدَّتِ الْأَنْفَاسُ وَسَكَنَتِ الْأَجْرَاسُ، ثُمَّ قَالَتْ بَعْدَ حَمْدِ اللهَّ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله:

أما بعد:

(يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ يَا أَهْلَ الخَتْلِ[٢] وَالْغَدْرِ وَالخَذْلِ، أَلاَ فَلاَ رَقَأَتِ[٣] الْعَبْرَةُ، وَلَا هَدَأَتِ الزَّفْرَةُ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ

---

(١) حذيم بن شريك الأسدي: عده الشيخ في رجاله: ص٨٨، من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليهما السلام.

(٢) الختل: الخداع .

(٣) رقأت: جفت.

قُوَّةٍ أَنْكاثاً[١]، تَتَّخِذُونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ[٢]، هَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّلَفُ[٣] وَالْعُجْبُ وَالشَّنَفُ[٤] وَالْكَذِبُ، وَمَلَقُ الإِمَاءِ، وَغَمْزُ الأَعْدَاءِ[٥]، أَوْ كَمَرْعًى عَلَى دِمْنَةٍ[٦]، وْكَفِضَّةٍ عَلَىَ مَلْحُودَةٍ[٧]، أَلَا بِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْكُمْ وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ.

تَبْكُونَ أَخِي؟! أَجَلْ، وَاللهِ فَابْكُوا فَإِنَّكُمْ أَحْرَى بِالْبُكَاءِ، فَابْكُوا كَثِيراً وَاضْحَكُوا قَلِيلًا، فَقَدْ أَبْلَيْتُمْ بِعَارِهَا، وَمَنَيْتُمْ بِشَنَارِهَا[٨]، لَنْ تَرْحَضُوهَا أَبَداً[٩]، وَأَنَّى تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ، وَسَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَلَاذُ حَرْبِكُمْ، وَمَعَاذُ حِزْبِكُمْ، وَمَقَرُّ سِلْمِكُمْ، وَآسِي كَلْمِكُمْ[١٠]، وَمَفْزَعُ نَازِلَتِكُمْ، وَالْمُرْجِعُ إِلَيْهِ عِنْدَ مُقَاتَلَتِكُمْ، وَمَدَرَةُ حُجَجِكُمْ[١١]، وَمَنَارُ مَحَجَّتِكُمْ، أَلَا سَاءَ مَا قَدَّمَتْ

(١) أي: حلته وأفسدته بعد إبرام.

(٢) أي: خيانة وخديعة.

(٣) الصلف: الذي يمتدح بما ليس عنده.

(٤) الشنف: البعض بغير حق.

(٥) الغمز: الطعن والعيب.

(٦) الدمنة: المزبلة.

(٧) الفضة: الجص. والملحودة: القبر.

(٨) الشنار: العار.

(٩) أي لن تغسلوها.

(١٠) أي: دواء جرحكم.

(١١) المدرة زعيم القوم ولسانهم المتكلم عنهم.

لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ، وَسَاءَ مَا تَزِرُونَ لِيَوْمِ بَعْثِكُمُ.

فَتَعْساً تَعْساً، وَنَكْساً نَكْساً، لَقَدْ خَابَ السَّعْيُ، وَتَبَّتِ الْأَيْدِي، وَخَسِرَتِ الصَّفْقَةُ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ (وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ).

أَتَدْرُونَ وَيْلَكُمْ أَيَّ كَبِدٍ لِمُحَمَّدٍ (ص) فَرَثْتُمْ؟! وَأَيَّ عَهْدٍ نَكَثْتُمْ؟! وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ؟! وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ هَتَكْتُمْ؟! وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ؟! لَقَدْ جِئْتُمْ شَيئاً إِدّا، تَكَادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشقُّ الأَرضُ، وَتَخِرُّ الجِبالُ هَدّا! لَقَدْ جِئتُمْ بِها شَوْهَاءَ، صَلْعَاءَ، عَنْقَاءَ، سَوْدَاءَ، فَقْمَاءَ، خَرْقَاءَ[1]، كَطِلاعِ[2] الأَرْضِ، أَوْ مِلأ السَّماءِ.

أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ تُمْطِرَ السَّمَاءُ دَماً، وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزى، وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ، فَلَا يَسْتَخِفَّنَّكُمُ الْمُهَلُ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَحْفِزُهُ الْبِدَارُ[3]، وَلاَ يُخْشَى عَلَيْهِ فَوْتُ النَّارِ، كَلَّا إِنَّ رَبَّكَ لَنَا وَلَهُمْ لَبِالْمِرْصادِ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ عليها السلام:

مَاذَا تَقُولُونَ إِذْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ
مَا ذَا صَنَعْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ

---

(١) الشوهاء: القبيحة، والفقهاء: إذا كانت ثناياها العليا إلى الخارج، فلا تقع على السفلى، والخرقاء: الحمقاء.

(٢) طلاع الأرض: ملؤها.

(٣) يحفزه: يدفعه.

بِأَهْلِ بَيْتِي وَأَوْلَادِي وَتَكْرِمَتِي
مِنْهُمْ أُسَارَى وَمِنْهُمْ ضُرِّجُوا بِدَمٍ
مَا كَانَ ذَاكَ جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ
أَنْ تَخْلُفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي
إِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ يَحُلَّ بِكُمْ
مِثْلُ الْعَذَابِ الَّذِي أَوْدَى عَلَى إِرَمٍ

ثُمَّ وَلّت عَنْهُم.

قَالَ حِذْيَمٌ: فَرَأَيْتُ النَّاسَ حَيَارَى، قَدْ رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ شَيْخٌ فِي جَانِبِي يَبْكِي، وَقَدِ اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ بِالْبُكَاءِ، وَيَدُهُ مَرْفُوعَةٌ إِلَى السَّمَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: بِأَبِي وَأُمِّي، كُهُولُهُمْ خَيْرُ كُهُولٍ، وَنِسَاؤُهُمْ خَيْرُ نِسَاءٍ، وَشَبَابُهُمْ خَيْرُ شَبَابٍ، وَنَسْلُهُمْ نَسْلٌ كَرِيمٌ، وَفَضْلُهُمْ فَضْلٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

كُهُولُكُمْ خَيْرُ الْكُهُولِ وَنَسْلُكُمْ إِذَا عُدَّ نَسْلٌ لَا يَبُورُ وَلَا يَخْزَى

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: **يَا عَمَّة اسْكُتِي، فَفِي الْبَاقِي مِنَ الْمَاضِي اعْتِبَارٌ، وَأَنْتِ بِحَمْدِ اللهِ عَالِمَةٌ غَيْرُ مُعَلَّمَةٍ، فَهِمَةٌ غَيْرُ مُفَهَّمَةٍ، إِنَّ الْبُكَاءَ وَالْحَنِينَ لَا يَرُدَّانِ مَنْ قَدْ أَبَادَهُ الدَّهْرُ، فَسَكَتَتْ،** ثُمَّ نَزَلَ عليه السلام، وَضَرَبَ فُسْطَاطَهُ، وَأَنْزَلَ نِسَاءَهُ وَدَخَلَ الْفُسْطَاطَ[1].

---

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ج٢، ص٣١.

خُطْبَةُ زَيْنَب عليها السلام في مَجْلِسِ يَزيد بِالشَّام:

لمّا وصل ركب السبايا إلى الشام، أَمر يزيد بأَن يدخلوا عليه نكاية بهم، وشماتة بما جرى عليهم، وَلِيشفي حِقْدهُ على آلِ محمدٍ (صلواتُ الله عليهم)، وليتفاخر بما صنع أَمام أَهل الشام، ولكن انقلب السِّحر على السَّاحر، فقدانبرى له الإمام زين العابدين عليه السلام وعقيلة الطالبين زينب عليها السلام فخطبوا في مجلسه، وفضحوه أَمام الملأ، وينقل الكثير من المؤرخين والمحدثين خطبة زينب عليها السلام في مجلس يزيد، فيذكر السيد ابن طاووس وغيره أَن زينب بنت علي بن أَبي طالب عليه السلام في مجلس يزيد، وقد سَمِعَته يقرأُ أَبياتِ ابن الزِّبَعرى:

ليتَ أشياخي ببـدرٍ شَهِـدوا جَزَعَ الخزرجِ مِن وَقْعِ الأَسَلْ

فأهَلَّـوا واستَهـلُّـوا فَرَحـاً ثمّ قالـوا: يا يزيـدُ لا تُشَلّ!

لستُ مِن خِنْدَفَ إنْ لم أنتقـمْ مِن بني أحمدَ ما كان فَعَـلْ!

فقالت له زَيْنَب عليها السلام -في خطبة عصماء-: (**الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ، صَدَقَ اللهُ سُبحانَه حَيثُ يَقُولُ: (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون)، أَمِنَ الْعَدْلِ يَا ابْنَ الطُّلَقَاءِ تَخْدِيرُكَ حَرَائِرَكَ وَإِمَاءَكَ، وَ سَوْقُكَ بَنَاتِ رَسُولِ الله سَبَايَا؟ تَحْدو بِهن الأَعْدَاء مِنْ بَلدٍ إِلى بَلدْ، وَيَسْتَشرِفهُن أَهْلُ المَناهِلِ والمَناقِل، ويَتَصفحُ وُجُوهَهن القَريبُ والبَعيدُ**

الدَنيء والشَريفْ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلِيٌّ، وَلَا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيٌّ، وَكَيْفَ يُرْتَجَى مُرَاقَبَةُ مَنْ لَفَظَ فُوه أَكْبَادِ الْأَزْكِيَاءِ، وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ؟ وَكَيْفَ يَسْتَبْطِئُ فِي بُغْضِنَا أَهْل الْبَيْتِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْنَا بِالشَّنَفِ وَالشَّنَآنِ وَالْإِحَنِ وَالْأَضْغَانِ؟ ثُمَّ تَقُولُ: غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٍ:

وَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلُ

مُنْتَحِياً عَلَى ثَنَايَا أَبِي عَبْدِ الله، سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، تَنْكُتُهَا بِمِخْصَرَتِكَ، مَا أَجْرَأَكَ عَلى الله، وَمَا أَقْبَحكْ، وَكَيْفَ لَا تَقُولُ ذَلِكَ، وَقَدْ نَكَأْتَ الْقَرْحَةَ، وَ اسْتَأْصَلْتَ الشَّأفَةَ، بِإِرَاقَتِكَ دِمَاءَ ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله)، وَنُجُومِ الْأَرْضِ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَتَهْتِفُ بِأَشْيَاخِكَ، زَعَمْتَ أَنَّكَ تُنَادِيهِمْ، فَلَتَرِدَنَّ وَشِيكاً مَوْرِدَهُمْ، وَلَتَوَدَّنَّ أَنَّكَ شَلَلْتَ وَبَكِمْتَ، وَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ مَا قُلْتَ، وَ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ.

اللَّهُمَّ خُذْ بِحَقِّنَا وَ انْتَقِمْ مِمَنْ ظَلَمَنَا، وَأَحْلِلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دِمَاءَنَا، وَقَتَلَ حُمَاتَنَا.

(ثمّ توجّهت بالتوبيخ إلى يزيد قائلةً له): فَوَالله مَا فَرَيْتَ إِلَّا جِلْدَكَ، وَلَا جَزَزْتَ إِلَّا لَحْمَكَ، وَ لَتَرِدَنَّ عَلَى رَسُولِ الله بِمَا تَحَمَّلْتَ مِنْ سَفْكِ دِمَاءِ ذُرِّيَّتِهِ، وَانْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ فِي عِتْرَتِهِ وَ لُحْمَتِهِ، حَيْثُ يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُمْ، وَيَلُمُّ شَعَثَهُمْ، وَيَأْخُذُ بِحَقِّهِمْ، (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)، حَسْبُكَ بِالله حَاكِماً، وَبِمُحَمَّدٍ خَصِيماً، وَبِجَبْرَئِيلَ ظَهِيراً، وَسَيَعْلَمُ مَنْ سَوَّلَ لَكَ، وَمَكَّنَكَ

مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ (أَي: معاوية لعنه الله)، **بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا، وَأَيُّكُمْ شَرٌّ مَكاناً، وَأَضْعَفُ جُنْداً.**

وَ لَئِنْ جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّوَاهِي مُخَاطَبَتَكَ، إِنِّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ، وَ أَسْتَعْظِمُ تَقْرِيعَكَ، وَ أَسْتَكْثِرُ تَوْبِيخَكَ، لَكِنَّ الْعُيُونَ عَبْرَى، وَالصُّدُورَ حَرَّى.

(وهنا جاء التنبيه إلى عظم المصيبة والفاجعة التي أوقعها يزيد في آل بيت المصطفى): **أَلَا فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِقَتْلِ حِزْبِ اللهِ النُّجَبَاءِ بِحِزْبِ الشَّيْطَانِ الطُّلَقَاءِ؟** (ومنهم يزيد الطليق بعد فتح مكّة، ولم يسمح الشرع الشريف للطلقاء أن يتقلّدوا الحُكْم)، **فَهَذِهِ الْأَيْدِي تَنْطِفُ مِنْ دِمَائِنَا، وَالْأَفْوَاهُ تَتَحَلَّبُ مِنْ لُحومِنَا، وَتِلْكَ الْجُثَثُ الطَّوَاهِرُ الزَّوَاكِي تَنْتَابُهَا الْعَوَاسِلُ** (الذئاب)، **وَتَعْفُرهَا أُمَّهَاتُ الْفَرَاعِلِ، وَ لَئِنِ اتَّخَذْتَنَا مَغْنَماً لَتَجِدُنَا وَشِيكاً مَغْرَماً، حِينَ لَا تَجِدُ إِلَّا مَاقَدَّمْتَ، وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، فَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى، وَعَلَيْهِ الْمُعَوَّلُ.**

فَكِدْ كَيْدَكَ، وَاسْعَ سَعْيَكَ، وَنَاصِبْ جُهْدَكَ يَا يَزِيدُ، فَوَ اللهِ لَا تَمْحُو ذِكْرَنَا، وَلَا تُمِيتُ وَحْيَنَا، وَ لَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا، وَلَا يَسْقُطُ عَنْكَ عَارُ مَافَعلتْ، وَهَلْ رَأْيُكَ إِلَّا فَنَدٌ، وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدٌ، وَمَاجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدٌ، يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ، فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَتَمَ لِأَوَّلِنَا بِالسَّعَادَةِ، وَلِآخِرِنَا بِالشَّهَادَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُكْمِلَ لَهُمُ الثَّوَابَ، وَيُوجِبَ لَهُمُ الْمَزِيدَ، وَيُحْسِنَ عَلَيْنَا الْخِلَافَةَ، إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَحَسْبُنَا اللهُ

وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).

فقال يزيد:

يا صيحةً تُحمَدُ مِن صَوائحِ ما أهونَ الموتَ علَى النوائحِ[١]

وجميل ما قالته الأَديبة بنت الشاطئ حول هذا الدور الزينبي، حيث كتبت تقول: (لم تمضِ زَيْنَب إِلا بعد أَن أَفسدت على ابن زياد، ويزيد، وبني أُمية، لذة النصر، وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين! فكانت فرحة لم تطل، وكان نصراً مؤقتاً، لم يلبث أَن أَفضى إِلى هزيمة قضت، فلم تكد زَيْنَب تخرج من عند يزيد حتى أَحسَّ أَنّ سروره بمقتل الحسين عليه السلام قد شابه كدر خفي، ظل يزداد حتى استحال إِلى ندم، كَدّر صفو الأَعوام الثلاثة الأَخيرة من حياته)[٢].

ويُعقّب المرحوم الفكيكي: (تأمّل معي في هذه الخطبة النارية كيف جمعت بين فنون البلاغة، وأَساليب الفصاحة، وبراعة البيان، وبين معاني الحماسة، وقوة الاحتجاج، وحجّة المعارضة، والدفاع في سبيل الحرية والحقّ والعقيدة، بصراحة هي أَنفذ من السيوف إِلى أَعماق القلوب، وأَحدّ من وقع الأَسنّة في الحشا، والمهج في مواطن القتال، ومجالات النزال، وكان الوثوب على أَنياب الأَفاعي، وركوب أَطراف الرماح أَهون على يزيد من سماع هذا الاحتجاج الصارخ،

(١) اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس: ص١٠٨.

(٢) السيدة زينب، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: ص١٥٨.

الذي صرخت به ربيبة المجد والشرف في وجوه طواغيت بني أُمية، وفراعنتهم في منازل عزّهم ومجالس دولتهم الهرقلية والارستقراطية الكريهة، ثمّ إنّ هذه الخطبة التأريخية القاصعة لا تزال تنطق ببطولات الحوراء الخالدة وجرأتها النادرة، وقد احتوت النفس القوية الحساسة الشاعرة بالمثالية الأخلاقية الرفيعة السامية، وسيبقى هذا الأدب الحيّ صارخاً في وجوه الطغاة الظالمين على مدى الدهر وتعاقب الأَجيال، وفي كل ذكرى لواقعة الطفّ الدامية المفجعة)[1].

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الفكيكي: ج٣، ص٣٨١.

الكَرَمُ العَلَويُّ:

إِنّ طيلة الفترة التي مكث فيها ركب السبايا في خربة الشام، ومن خلال الدور الريادي الذي انفردت به السيدة زَيْنَب عليها السلام، وهو توضيح منزلة أَهل البيت عليهم السلام للناس عند الله ورسوله، وقد خَصّهم القرآن الكريم بالكثير من آياته، أشهرها: آية التطهير، والمودة، جعل الناس ينقمون من يزيد وأَفعاله الدنيئة، وأَثاروا حالة من الغضب الجماهيري، الأَمر الذي جعل يزيد يندم على كل فعل فعله، وأَمر بعودة السبايا إِلى المدينة المنورة، كما وأَوصى بتحسين أَوضاعهم قبل ترحيلهم، فأَمر بأنطاع من الابريسم ففرشت في مجلسه، وصبّ عليها أَموالاً كثيرة، وقدّمها لآل البيت عليهم السلام لتكون دية لقتلاهم، وعوضاً لأَموالهم التي نهبت في كربلاء، وقال لهم: خذوا هذا المال عوض ما أَصابكم، والتاعت مخدرات الرسالة، فانبرت إِليه العقيلة أُمّ كلثوم -وأَكبر الظن أَنّها زَيْنَب-، فصاحت به: **(ما أَقلَّ حيائكَ، وأَصْلَفَ وَجهْكَ، تَقْتُلَ أَخي وأَهل بيتي، وتعطيني عوضهم)**[1]، وقالت السيّدة سكينة: **(والله ما رأيتُ أَقسى قلباً من يزيد، ولا رأيتُ كافراً ولا مشركاً شراً منه، ولا أَجفا منه)**[2]، ومع هذا الإباء الذي جوبه به من قبل مخدرات الرسالة، إِلا أَنه أَمر النعمان بن بشير أَن يجهزهم بما يصلحهم، ويسيّر

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الفكيكي: ج٣، ص٣٨١.

(٢) الأمالي، الصدوق: ص٢٣٠، حياة الإمام الحسين عليه السلام، الفكيكي: ج٣، ص٤١٤.

معهم رجلاً أميناً من الشام، ومعه خيل يسير بهم إلى المدينة، وخلافاً للمعاملة الخشنة التي عانت منها قافلة السبايا في مسيرهم إلى الشام، فقد كان هذا المكلّف بركبهم في عودتهم إلى المدينة لبقاً في التعامل، لَيّناً في أخلاقه معهم، فكان يسايرهم ليلاً فيكونون أمامه، بحيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم هو وأصحابه، فكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حاجتهم، ويلطف بهم، فلمّا وصلوا إلى المدينة أرادت العقيلة زَيْنَب عليها السلام مكافأته على حسن تعامله، وجميل صنعه، ولم يكن لديها مال تقدمه إليه، لكنها عمدت إلى بعض ما تبقّى من حُليِّ أُختها فاطمة، وهو عبارة عن سوارين ودملجين، وقدمته إليه معتذرة قائلة: **(هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحسن من الفعل)** فتأثر الرجل من مبادرة السيدة زَيْنَب عليها السلام واعتذر عن قبولها قائلاً: (لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا كان في حليكن هذا ما يرضيني دونه، ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله)[1].

ثورة المدينة:

لم يكن من اليسير على السيدة زَيْنَب بأن تعود إلى مدينة جدها صلى الله عليه وآله وقد تركت أخاها وأهل بيتها عليهم السلام مجزرين كالأضاحي على رمضاء كربلاء، هذه المدينة التي كانت تنير بأنوارهم، واليوم عادت حزينة وقد انهكتها تلك الرحلة الطويلة التي استمرت طيلة سبعة أشهر، حيث

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ج٦، ص٢٦٦.

خرجت من المدينة مع أخيها الحسين أواخر شهر رجب وعادت بعد انتهاء شهر صفر، وفرق كبير بين موكب خروجها المهيب من المدينة يحيط بها أخوتها وأبناؤها وأبناء أخوتها ورجالات عشيرتها، وبين قافلة الأسر التي عادت مثكولةً بنياح الأرامل المفجوعات بفقد الأحبة.

لذلك ما إن دخل الركب أبواب المدينة، حتى هرعت السيدة زينب عليها السلام إلى مسجد جدها رسول الله صلى الله عليه وآله حيث مثواه الأقدس، وأخذت بعضادتي باب المسجد منادية: **(يا جداه، إني ناعية إليك أخي الحسين)**[1].

عاشت في المدينة تتحدّث عن آلام كربلاء وشعارات الحسين عليه السلام، إلى أن غادرت الحياة، فكانت عليها السلام في كل يوم في المدينة المنورة تذكير جماهير الأمة بمظلومية الحسين وأهل بيته عليهم السلام، وتخليد المأساة العظيمة في كربلاء، لتُؤجج بذلك العواطف وتُلهب المشاعر، وتحرّض الناس على الحكم الفاسد الظالم.

ويذكر السيد الشريف يحيى بن الحسن من أحفاد الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، وهو المعروف بالعبيدلي النسابة (٢١٤ هـ - ٢٧٧ هـ) (٨٢٩ م - ٨٩٠ م) في رسالته المشهورة (أخبار الزينبيات) يذكر فيها: (أنّ السيدة زَيْنَب عليها السلام وهي بالمدينة كانت تؤلّب الناس على القيام بأخذ ثار الحسين عليه السلام، فكتب والي المدينة عمرو بن سعيد

(١) مقتل الحسين، عبدالرزاق المقرم: ص٣٧٦، تاريخ الطبري: ج٦، ص٣٦٦، الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٣، ص٣٠٠

الأشدق إلى يزيد يُعلِمه بالخبر، فأتاه كتاب يزيد يأمره أن يُفرّق بينها وبين الناس، فأمرها الوالي بالخروج من المدينة)[١].

لقد أشعلت السيدة زَيْنَب الثورة وفجرتها في المدينة ضد الحكم الأموي، فكان لها دور المحرك للثورة التي عمت المدينة المنورة سنة (٦٣هـ) حيث تمرد أهل المدينة على الحكم الأموي، وطردوا واليه، وجميع بني أمية، وبايعوا عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، فبعث يزيد إلى المدينة جيشاً ضخماً يبلغ (١٢ ألفاً) بقيادة مسلم بن عقبة، فقضى على التمرد وسيطر على المدينة، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً لجيشه يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال، ودعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خول - أي عبيد - له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم ما شاء، فمن امتنع من ذلك قتله ،وعرفت الواقعة باسم (واقعة الحرة) والتي حصلت لليلتين بقيتا من ذي الحجة، وعرف مسلم بن عقبة بعد الواقعة باسم مسرف)[٢].

رحلتها عليها السلام الأخيرة إلى دمشق الشام:

تشير بعض الروايات إلى أنّ عبد الله بن جعفر لما رآها قد انهدّ ركنها، وضعف جسمها رحل بها إلى بلاد الشام وانتقل مع السيدة زَيْنَب زوجته إلى ضيعة كان يمتلكها قرب دمشق في قرية يقال لها

(١) أخبار الزينبيات، العبيدلي، مطبوع ضمن مجلة (الموسم): العدد ٤.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٤، ص١٢٠.

(راوية) وقد توفيت السيدة زَيْنَب عليها السلام في هذه القرية، ودُفنت في المرقد المعروف باسمها، وتختلف الروايات في سبب هجرة عبد الله بن جعفر إلى هذه القرية وفي تاريخ تلك الهجرة، ووفاة السيدة زَيْنَب عليها السلام، لكن العديد من المؤلفين ذكروا أنّ ذلك بسبب مجاعة حصلت في المدينة وكان ذلك في سنة (٦٥هـ) وبعضهم قال إن ذلك في سنة (٦٢هـ)، يقول العلامة الشيخ فرج العمران - خلال بحث له عن الموضوع -: (فالأرجح عندي أنها عليها السلام توفيت في الشام في النصف من شهر رجب من العام الخامس والستين من الهجرة وهو عام المجاعة، وذلك بمحضر زوجها الجواد عبد الله بن جعفر، ودفنت في إحدى قراه المعروفة براوية من غوطة دمشق المشتهرة الآن بقرية الست)[1].

ويقع مقام السيدة زَيْنَب في الجهة الشرقية الجنوبية على بعد سبعة كيلو مترات من دمشق، وقد أصبحت المنطقة تعرف كلها باسم (السيدة زَيْنَب)، وتبلغ مساحة المقام وملحقاته حوالي الـ (١٥٠٠٠ متر مربع)، ويتسع لخمسة آلاف شخص، وهناك قول أخر في مكان دفنها وهو في مصر ولها مزار شامخ يقصده أصحاب الحوائج ويستشفعون بها.

---

(١) وفاة زَيْنَب الكبرى، الشيخ فرج العمران: ص٦٥، السيدة زَيْنَب وأخبار الزينبيات، العبيدلي: ص٩.

الفهرس

المقدمة: ٣

ولادتها عليها السلام: ٤

الوليدة المباركة عليها السلام: ٤

وجوم النبي صلى الله عليه وآله وبكاؤه: ٦

كُنْيَتها عليها السلام: ٦

أَلقابها عليها السلام: ٧

نشأتها وفضلها عليها السلام: ٨

خصالها النفسية عليها السلام: ١١

السيدة زينب الصورة الحقيقية للمرأة الواعية: ١٢

مواكبتها عليها السلام خطوات الرّسالة: ١٤

على خُطى أَبيها أَمير المؤمنين عليه السلام: ١٧

بطلةُ كَرْبلاء عليها السلام: ١٩

إِيمانُها عليها السلام الوثيق باللهِ تعالى: ٢١

عبادتها عليها السلام وانقطاعها إلى الله تعالى: ٢٥
زهدها عليها السلام في الدنيا: ٢٩
قدراتها العلمية عليها السلام: ٣١
عالمة غير معلّمة: ٣٤
بلاغتها عليها السلام: ٣٩
صَبْرُهَا عليها السلام: ٤٠
مواقف تحكي صبر العقيلة زينب عليها السلام: ٤٥
اتْصَافُهَا عليها السلام بالعزة والكرامة: ٤٨
شَجَاعتُهَا عليها السلام: ٥٠
دورها عليها السلام في كربلاء: ٥٤
رَكْبُ السَّبايا: ٥٩
مُحَاولةُ التَّشفّي وإِظهارُ النَّصرِ وزَيْنَب عليها السلام تردُّ بخطابٍ مُدَوٍّ: ... ٦١
خُطْبة زَيْنَب بنت علي عليهما السلام في الكوفة: ٦٣
خُطْبةُ زَيْنَب عليها السلام في مَجْلِسِ يَزيد بِالشَّام: ٦٧
الكَرَمُ العَلَويُّ: ٧٢
ثورة المدينة: ٧٣
رحلتها عليها السلام الأخيرة إلى دمشق الشام: ٧٥